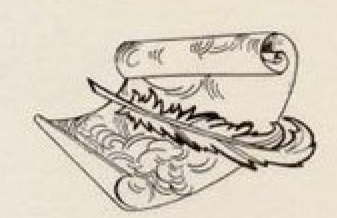
الأعلام من الأدباء والشعراء



عنترة بن شداد

حياته وشعره

إعداد
محمد علي الصبّاح
ماجستير في اللغة العربيّة وآدابها

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

مقدمة

في أدبنا العربي سواء كان إسلامياً أو جاهلياً صفحات فخار وفصول مجد، وفيه ضروب من الفروسية وفنون من البطولة، وفيه ما يحفز النفوس إلى مكارم الأخلاق، ويصعد بها إلى درجات العلا.

وأدبنا الجاهلي، وهو نتاج الجزيرة العربية أنبتته ونمته رياضها وسهولها، واحتضنته جبالها وأوديتها، وربَّاه بردها وهجيرها، وأرجحه نسيمها وصرصرها؛ لا يزال في حاجة إلى أيد تجمعه، وعقول تفقهه، ونفوس تحن إليه،وهمم ترتبه وتنشره. ولن يتيسر لنا درس آدابنا الأولى إلا بهذه الأعمال، ولا نستطيع الانتفاع بها إلا بهذه المساعي.

وعنترة بن شداد شاعر فارس، نظمت فروسيته أشعاره، وصدقت أشعاره فروسيته، شاعر ينطق لسانه عن سنانه، وتتجلى مآثره في بيانه، ويضرب المثل في شجاعته وأخلاقه، وفي شدته ولينه وفي قتاله ونسيبه.

أليس هو القائل:

هلّا سألتِ القومَ يا ابنةَ مالكٍ
إن كنت جاهلةً بما لم تعلمي
يُنبئكِ من شهد الوقيعةَ أنّني
أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنمِ

فليت لنا في فارسنا أسوة حسنة فنصبر على تحمّل المكاره والخطوب ونعفّ عن المغانم، وليت المتغزلين من شعرائنا الذين يتهالكون خوراً ويسعون ذلّاً، ويهوون إلى كل حضيض، ليتهم يسمون إلى نسيب شاعرنا الذي يدل على الرجولة والصدق والإقدام ويذكر الحبيب في أصعب المواقف حرجاً في ساحة القتال.

غير آبه لما يدور حوله من ضرب وطعان، بل تراه ينعم بتلك الصورة الحلوة الفريدة التي تفتق عنها خياله، وجادت بها شاعريته، والتي جعلته يود تقبيل السيوف بدل أن يحذرها ويتقيها لأنها لمعت كبارق ثغر حبيبته.

ولقد ذكرتكِ والسيوف نواهلٌ
مني وبيضُ الهندِ تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وإن دَلَّ هذا على أَمرٍ إنما يدل على أن الرجل كان يتمتع بخُلق قويٍ وعاطفة سامية صادقة، حبذا لو اتخذنا اليوم منه نبراساً وسرنا على هديه.

المـؤلـف

١ ـ لمحة تاريخية

أ ـ ديار العرب:

إذا ما ذُكرت ديار العرب تبادرت إلى الذهن خيالات جزيرتهم الصحراوية العارية، ومع أنه كان لقوم منهم مواطن في الربوع الشامية والعراقية، إلا أن هذه المواطن، على جمالها وتحضرها، لم تكن إلا غديراً من غدران الجزيرة، وظلاً من ظلال البادية. فالجزيرة هي وحدها مهد العروبة الخالصة، وكل عربي يعتزي إليها، وإن نأت به الدار عنها وشط به المزار.

وسميت شبه الجزيرة العربية جزيرة من قبيل التوسع، لأن البحر لا يكتنفها إلا من ثلاث جهات: من الغرب البحر الأحمر؛ ومن الشرق الخليج العربي؛ ومن الجنوب المحيط الهندي؛ بينما تتصل من الشمال بأرض الشام والعراق.

والجزيرة خمسة أقسام: الأول اليمن في الجنوب، ويقال لها الخضراء أو السعيدة، لما فيها من المزارع والأشجار والمراعي والمياه، وهي خمسة أصقاع: حَضْرَمَوْت، وَمَهْرَة، والشِّحْر، وعُمَان، ونَجْران. ومن أشهر مدنها: صَنْعَاء، وكانت

سرير ملوك اليمن، وفيها قصر غُمْدان؛ ومأرِب ويقال لها سَبَأ، وفيها السد العَرِم؛ وزَبيد، وعَدَن، وظَفَار قاعدة بلاد الشِّحْر.

والقسم الثاني العروض وتشمل البحرين واليمامة، سميت كذلك لاعتراضها بين اليمن ونجد.

والقسم الثالث تِهامة، على شاطىء البحر الأحمر، بين اليمن والحجاز، وفيها طريق القوافل إلى الشام. ومن مدنها مكة، وفيها الكعبة، وغار حِراء.

والقسم الرابع الحجاز، بين نجد وتهامة، أشهر مدنه يثرب (مدينة الرسول) ﷺ والطائف، وخَيْبَر، وفيه سوق عُكاظ، وماء بدر.

والقسم الخامس نجد، بين العراق شرقاً، وبادية الشام شمالاً، والحجاز غرباً، واليمامة جنوباً: وهو صقع مرتفع، طيب الهواء، يلهج بذكره الشعراء، وفيه أرض العالية التي كان يحميها كليب.

وفي الجزيرة جبال وأودية، وصحراوات، وحَرَّات. فمن جبالها أجأ وسلمى، في جنوبي بادية السماوة، وهما منازل لبني طيء، ورَضْوَى بالقرب من يَنْبُع، وأُحُد في شمالي يثرب، وأبو قُبَيْس في شرقي مكة، وأبان الأبيض في شمالي وادي الرُّمة.

ومن أوديتها وادي القُرى بالقرب من يثرب، ووادي الرُّمة بعالية نجد. ومن صحراواتها بادية السماوة، رمال وُعْس شاقة السير، قليلة الماء والكلأ؛ والدهناء، سبعة أَجْبُل من الرمل بين يَبْرين وفَيْد[1]، كثيرة الكلأ على قلة ماء. قال ياقوت: «إذا أخصبت الدهناء، ربَّعت العرب جمعاء». ورمال الأحقاف بأرض اليمن بين عُمَان وحضرموت. ومن حرّاتها حَرَّة سُلَيم في عالية نجد، وحرة واقم شرقي يثرب، وفيها كان يوم الحرة في خلافة يزيد بن معاوية.

وهواء الجزيرة يختلف باختلاف ارتفاعها وانبساطها، ففي الجبال وعلى شاطيء البحر الجنوبي ينسم معتدلاً؛ وفي السهول يلفح حاراً؛ وتهب ريح محرقة من الجنوب والغرب تعرف بالسَّموم.

ويهطل المطر شرقي اليمن في أوانه، وشماليها من حزيران إلى تشرين الثاني، وتكثر الأمطار في حضرموت أيام الربيع. وأما الأقاليم الشمالية فقليلة المطر، قليلة المياه، لا تنبت العشب ولا الشجر إلا في بعض الأماكن، وأكثر شجرها شائك لظمئه إلى الماء، ويشتد البرد إذا احتبس المطر، وثارت الريح من ناحية الشام، وريح الشمال تنذر البدوي بالبرد

(١) يبرين: رمل كثير بين اليمامة والبحرين. فيد: بُليدة في نصف طريق مكة من الكوفة.

والقحط والجوع، فاشتق منها التشاؤم. والريح اليمانية تهب رخاء، وتبشر بالمطر والربيع والشبع، فاشتق منهـا التيمّن، وصار يتطيّر بكلّ ما يأتيه من ناحية الشمال، ويتفاءل بكل ما يأتيه من ناحية اليمين. فإذا أقلعت ريح الشمال خف القُرُّ، وسال الوادي، فتفيض الغدران وتبشر الأرض الصالحة بربيع قريب.

ب ـ العرب الحاضرة والبادية:

يعود المؤرخون بنسب العرب العدنانية إلى إسماعيل بن إبراهيم من جاريته هاجر، ويروون على ذلـك أنه لمـا وُلد إسماعيل أمر الله إبراهيم أن يذهب به وبأمه إلى مكة، ففعل. ثم جاءت بعد ذلك جُرهُم وقَطُوراء، وهما قبيلتان من اليمن، فنزلوا مكة، فتزوج إسماعيل من جُرهُم، وكان من ذريته عدنان أبو العرب المستعربة. ومن عدنان هذا كانت القبائل النزارية بشعبيها الكبيرين ربيعة ومُضَر.

وكان الشمال موطن العرب العدنانية، كما كان الجنوب موطن العرب القحطانية، وهذا لا يعني أن الشمال استـأثر بالعدنانية وحدها، ولا أن العدنانية لم يتخذ بعض قبائلها موطنه في الجنوب، أو في أطراف الشام والعراق.

وغلبت البـداوة الخشنـة وسكنى الخيـام على عـرب

الشمال، فكان العدنانيون في كثرتهم بدواً رُحَّلاً لا يأنسون بقرية، ولا يتفيّأون ظلاً معموراً إلا أقلهم كبني قريش في مكة، وبني ثقيف في الطائف. على أن هؤلاء البدو الجفاة هم الذين أنبتوا فحول الشعراء، وجاءنا عنهم الشعر الكثير.

٢ ـ أحوال العرب الاجتماعية في العصر الجاهلي

أ ـ شخصية العربي الجاهلي:

عهد الجاهلية هو ذلك العصر الذي لم يكن لبلاد العرب فيه رسول موصى إليه ولا كتاب ولا قوانين تضبط أوضاعهم الفردية والجماعية. وعلى وجه أخص نستطيع أن نحدد عصر الجاهلية على مفهوم أقرب وألصق بالمؤثرات والعوامل، التي صهرت بيئة العرب وشكلت احوالهم الاجتماعية، بأنه يشمل القرن السابق مباشرة لظهور الاسلام.

وكان للعربي الجاهلي شخصية قوية تظهر بأنانيته، ونزوعه إلى الحرية والاستقلال، وحبه الخير لنفسه دون غيره، والاستئثار بالجاه والذكر الحسن وحميد الصفات. وتظهر في جَلَده وصبره على الفقر والجوع والظمأ ومغالبة الطبيعة في صحرائه العاتية، تلك الصحراء التي لفحته بحرها فتركته أسمر اللون يابس الجلد خفيف اللحم، أسود العينين والشعر، واستولت على إحساسه بوحشتها، فجعلته شديد السمع والبصر، سريع التأثر، متوتر الأعصاب، مذعناً للقضاء والقدر؛

وعلمته بقحطها الغزو والترحّل في طلب الماء والكلأ؛ وصيّرته كريماً مقداماً يقري الضيوف ويلتقي الأهوال، ويمنع الجار ويغيث الملهوف، حتى أصبح حُبّ القِرى وحسن الجوار من طبائعه، يفاخر بهما، ويرى في تركهما العار كل العار.

ب ـ نظام القبيلة:

والنظام القبلي كان الأصل في المجتمع البدوي. وكانت عرب البادية تعيش قبائل متقاطعة، لا يجتمع بعضها إلى بعض إلا في حِلف موقوت. فلم يستطيعوا في صحرائهم، وما يقتضي لها من حياة قبلية، أن ينشئوا مجتمعاً راقياً، وقومية شاملة، ودولة موحّدة؛ ولم تبتعد عصبيتهم عن القبيلة، وإن فاخروا بجنسهم واعتدّوا به على سائر الأمم.

وكان كل بيت يمثل أسرة، والمعسكر المكون من عدة بيوت يُسمى حياً، وأعضاء الحيّ الواحد يكونون عشيرة أو بطناً، ومجموعة الأقوام القريبة النسب يكونون قبيلة، ويعد أفراد القوم الواحد أنفسهم أبناء دم واحد، يخضعون لرئيس واحد هو أسن أعضاء القوم وأبرزهم ومن أكبر بيوتهم. وكان بين الفرد والقبيلة صلة مكينة تجعله بجميعه للقبيلة، والقبيلة بجميعها للفرد. فإذا نزل عار بالقبيلة أصاب كل شخص منها، وإذا نبه ذكر شخص عاد فخره إلى القبيلة بأسرها. وتتحمل القبيلة جناية أخيها، وتنصره ظالماً أو مظلوماً، فإذا اقترف أحد الأفراد

جريمة القتل في داخل حدود قومه لم يجد من يحميه، فإذا فرَّ عُدَّ طريداً أو خارجاً على القانون، وإذا ارتكب جريمة القتل خارج القوم أقيم الثأر وأصبح كل فرد من أعضاء القوم معرّضاً لأن يُثأر منه وأن تكون حياته فداء المقتول.

ج - سيد القبيلة:

أنكر العرب في استقلالهم القبلي سيطرة الغريب عليهم، ولم يقبلوها إلا على كره منهم، حتى إذا سنحت لهم الفرصة، انقلبوا عليه وأزالوه. ولكنهم يذعنون لسيّدٍ منهم، إذا رأوا في سيادته خيراً لهم، فكان لكل قبيلة سيدها الذي يجمع شملها ويقودها في الملمات العصيبة.

ولا تستقر السيادة في بيت واحد لأنانية العربي، ونزوعه إلى المنافسة، فكانت تنتقل في القبيلة من بيت إلى آخر وقلما تعددت في بيت واحد؛ فكان تعددها من مفاخرهم. وكانت أشرف البيوت عندهم بيت تتابعت فيه رئاسة آباء ثلاثة، ثم اتصلت بالرابع، فيسمى الكامل.

والبدوي في عنهجيته وحبه للرئاسة لا يخضع لمساوٍ له، وإنما يخضع لمن هو أقوى منه. وينبغي أن يتحلى الرئيس بصفات محمودة، عندهم، لتحق له السيادة في قبيلته. وأجل هذه الصفات الغنى والكرم والحلم والشجاعة والفصاحة.

على أن هذه الصفات يندر أن تجتمع كلها في سيد واحد، بل يندر أن يخلو الرؤساء من عيوب الرئاسة.

د ـ المرأة في المجتمع الجاهلي:

تغلب صفرة اللون على النساء العربيات، وتستحسن إذا كانت ضاربة إلى البياض، ويوصفن بسواد الشعر والعينين، واعتدال القامة، ورقة الخصر وثقل الأوراك. والبدوي ينظر إلى المرأة كأداة للذة والنسل. يريدها أن تلد له غلماناً ينافس بهم غيره من الناس، وكانت المنافسة بكثرة البنين من عاداتهم لأن الصبي يرجى للذود عن الحمى، وإحياء الذِّكر، وتسلسل النسب. وكانوا مقابل ذلك يكرهون ولادة البنت، وربما تشاءموا بها فوأدوها. وقد عُرف الوأد[1] في قبائل العرب قاطبة، بيد أنه لم يكن شاملاً، فإذا استعمله أحدهم تركه عشرة، حتى جاء الإسلام فحرَّمه وأبطله.

وكان أكثر ما يهمهم تزويج الحُرّة البيضاء، لأنها عرضة للسبي، وقد تُخير في أمر زواجها إذا كانت فطنة رشيدة.

وكان البدو يتزوجون صغاراً نظراً لطبيعة أرضهم، ولرغبتهم في البنين. فالفتى يتزوج في الخامسة عشرة، والفتاة في العاشرة. وكانوا يرغبون في زواج البعداء ليتألفوا أعداءَهم

---

(١) الوأد: دفن البنت حيّة.

بالمصاهرة، ويكثروا الأحلاف، وهم إلى ذلك يعتقدون أن زواج البعداء أنجب للولد وأبهى للخلقة، فيأتي الولد ذكياً جميلاً، ويجتنبون زواج الأهل والأقارب، ويرونه مضرّاً بخَلْق الولد ونجابته.

وقد يخطب الرجل إلى الآخر ابنته، فيصدقها ثم يُعقد له عليها. وللرجل أن يعدّد الزوجات مقدار طاقته، إلا إذا اشترطت المرأة عدم التعدد، وتعاقدا عليه.

كما كانوا لا يجمعون في الزواج بين الأختين، ولا بين المرأة وابنتها، ولكنهم استحلوا زواج امرأة الأب فأبطله الإسلام، وسماه زواج المقت لأنه ممقوت.

وربما تزوج بعضهم نساء بعض في غاراتهم بلا عقد، أو ذهبت المرأة إلى عدة رجال، فيأتي الولد لا يدري من أبوه، فتلحقه أمه بمن تريد من الرجال الذين عرفتهم، ولا يرفضه الرجل إذا كان ذكراً؛ أو يلجأون إلى القيافة[1] ويلحقونه بأقربهم إليه شبهاً. وكانوا يفاخرون بالولد إذا كانت أمه حرّة بيضاء زاكية الأصل ويسمونها أم البنين، ويفاخرون بالأخوال، ويشبِّهون الأولاد بهم دلالة على النسب الحر، أما الأَمَة فتكون على الغالب سوداء، ولا يُعترف بأبنائها إلا بعد أن تظهر

(١) القيافة: علم معرفة نسب الولد إلى أبيه من النظر إلى ملامحه.

نجابتهم. كما اعترف شداد العبسي بولده عنترة.

وللزوج عندهم حق الطلاق دون المرأة، إلا إذا اشترطته في عقد الزواج ولا يحق للزوج أن يسترجع امرأته بعد تطليقها ثلاثاً، ولكنه يسترجعها بعد تطليقها مرة أو مرتين. وإذا كانت المرأة في بيت من شعر، وأرادت الطلاق حوَّلت بابه إلى الجهة المقابلة، فيعلم زوجها أنها طلقته، فلا يدخل الخباء.

حتى إذا مات الزوج تربّصت سنة معتدّة لا تخرج من بيتها، ولا تمس ماء، ولا تقلم ظفراً، حتى إذا استكملت عدَّتها خرجت بأقبح منظر وأقذره.

وكانت النساء العربيات تصحبن رجالهنَّ إلى الحرب فيحضضنهم على الصبر في مواقف القتال، ويمنعنهم أن يلوذوا بالفرار، ويداوين الجرحى، ويحملن قِرَب الماء، ويقُتْنَ الخيول. ولهن حق الجوار كما للرجال، وعلى الرجل أن يحمي جار امرأته وأخته وأمه وجارته كما يحمي جاره.

وعرف منهن غير واحدة بالشجاعة، والفصاحة والشعر، وحسن الرأي، والحكمة والعرافة. على أنهن كُنَّ مضعوفات في الجملة، يحتقر الرجال مكانهن، ويتشاءمون بولادتهن، ويسيئون الظنّ بأخلاقهن، فينعتونهن بالكيد والمكر والخيانة والخداع.

هـ ـ غـزواتـهم:

كان للعرب حروب كثيرة، أو بالأحرى غزوات غير منظمة، يجعلون من أيامها مادة لفخرهم وإخزاء أعدائهم. وكثيراً ما كانت تقع من أجل النهب والسلب، أو المزاحمة على الماء والكلأ؛ ومنها ما كان يحدث لأسباب تافهة ولكن عنجهية البدوي كانت تعظمها، منها حرب البسوس التي نشبت لمقتل ناقة، وكان الدافع إليها الحفاظ على الجوار؛ وحرب داحس والغبراء التي وقعت بدافع التنافس في الرهان بين سيدي القبيلتين. وقلما وقعت حرب لدفع عدو غريب كحرب ذي قار بين الفرس وبني بكر، وحروب اليمن والأحابش، وإنما كانت معظم حروبهم في الغالب داخلية قبلية، تقع بين القبائل المتناحرة من أجل صراع البقاء. حتى إذا خرجوا بها عن شبه جزيرتهم فإلى تخوم العراق والشام ليقاتلوا في سبيل كسرى وقيصر.

ولكن هذه الحروب، على كثرتها، لم تكن تفجع البدو بالعدد الكبير من الضحايا، لأن معظمها قائم على النهب والفرار بالغنائم، ولأن البدوي كان يتحامى القتل جهده، فقد كانت تقاليدهم تقضي بأخذ الثأر أو دفع الديات وحتى الديات لم تكن تغسل الأحقاد، لما في قبولها وترك الثأر من غضاضة، فقد اعتقد البدو أنه إذا قُتل الرجل منهم ولم يُؤخذ بثأره، خرج

من رأسه طائر يشبه البوم يسمونه الهامة أو الصدى، فلا يزال يصيح: اسقوني اسقوني! حتى يُقتل القاتل أو أحد أقاربه.

فشريعة أخذ الثأر عندهم، خفّفت حوادث القتل إذ جعلت الدم يدعو الدم، وفرضت على صاحب الثأر أن يُحرّم على نفسه أحب الأشياء إليه كالنساء والخمر والعسل والطيب، لا تحل له حتى يأخذ بثأره.

ولم يعرف البدو الجيوش المنظمة بل أشتاتاً يقودها سيد القبيلة، ويقوم على رأس كل فصيلة قائد يُعرف بالمَنْكِب، يأمر على خمسة عُرفاء، والعريف يأمر على نَفير[1] من الرجال. وكان من عادتهم أن القبيلة تشترك كلها في الحرب للدفاع عن المال والنساء والأولاد؛ ومن عادة البدوي أنه كان لا يصبر في القتال إلا إذا خشي أن يستولي العدو على أهله وماله وولده. أما إذا غزا فإنما هو يطلب الغنيمة حتى إذا فاتته طلب الهرب، ولذلك كان الفرُّ في حروبهم ملازماً للكر، وقلما عرفوا قتال الزحف والثبات.

وكان سلاحهم السيف والرُمح والقوس والمِجَن[2]، ويلبس فرسانهم الدروع والمغافر. وكانوا يرفعون الرايات، ويتغنون بالشعر ويرتجزون محمسين أنفسهم؛ فإذا تمَّ لهم

(١) النفير: من الثلاثة إلى العشرة.
(٢) المجن: الترس.

النصر، عادوا بالأسلاب والسبايا فاقتسموها أنصبة؛ وأما الأسرى فمصيرهم إلى القتل أو يقدموا الفداء، ولا يطلقونهم إلا بعد أن يجزوا نواصيهم، ويحتفظون بها في كنائنهم[1] لأيام المفاخرات. ومن عاداتهم في الحروب، أنهم كانوا يسيرون ليلاً ليداهموا خصمهم ويشلّوا حركته ويوقعوا الفوضى والاضطراب بين صفوفه، فتنحل عزيمته ويركن إلى الفرار وترك غنائمه وذخائره، فيستولون عليها ويتمتعون بنفائسها، وربما ساروا إلى عدوهم سحراً ليصبحوه الغارة المبكرة التي لا تبقي ولا تذر. وكما اعتنوا بالآت الحرب، اعتنوا أيضاً بالخيل والجمال والبغال. كما صقلت الحرب في نفوسهم طبائع الشجاعة والنجدة والبأس والقوة، وهي صفات حميدة تتنافى وصفات الخور والضعف والجبن والهلع. ومن مظاهر حب القوة والغلبة في تاريخ العرب ما أُطلق على القبائل من أسماء كأسماء الحيوان، مثل أسد وفهد ونمر وذئب، ومن غير الحيوان مثل حجر وجشم وعبس، وما سموا به أبناءهم من أسماء مثل كُليب، وبغيض، وصفوان، والقعقاع، وسويد وحنظلة، وخداش، وظالم، وضبّه، وهبَّار، ترجيحاً لمسميات هذه الصفات التي تحمل طابع الصلابة وسمة الصولة والفتوة.

(١) مفردها كِنانة وهي جعبة السهام.

و ـ معايشهم:

كان عرب البادية يعتمدون في عيشهم على رعاية الإبل، ثم على الغزو والصيد وحراسة القوافل. وأما أهل الحواضر فإن وسائل الرزق اتسعت عليهم، وعرفوا أركان العمران الثلاثة: التجارة والزراعة والصناعة. وكانت اليمن في مقدمة البلاد العربية تحضراً وخصباً، وعرب الشمال على بداوتهم وخشونة عيشهم لم يحرموا التجارة في حواضرهم، فقد كانت مكة، في توسطها الطبيعي ومقامها الديني، محطة لقوافل الشام واليمن، وسوقاً رائجة تُعرض فيها بضائع التجار. واشتهر أهلها القرشيون برحلاتهم التجارية، فكانت لهم في السنة رحلتان: رحلة الشتاء، ورحلة الصيف. وكذلك أهل يثرب عرفوا بالتجارة ولا سيما اليهود منهم.

وهناك أسواق عديدة كانت تقام في أوقات معلومة للبيع والشراء وانشاد الشعر، وأعظمها سوق عُكاظ ودومة الجندل، وذو المجاز، والمجنة وكان عرب الحيرة يتجرون مع الفرس، ويتولون حماية قوافلهم في عرض القفار.

وكذلك كان للزراعة شأن في بعض الحواضر الشمالية كالطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى وتيمَاء. أما الصناعة فإن الأعراب كانوا يحتقرونها ويعيِّرون صاحبها، فهم أبعد الناس عنها كما يقول ابن خلدون، ومع ذلك ألموا بأشياء كالحدادة

والنجارة والخياطة والصياغة، وكانت في القرى المعمورة كمكة ويثرب والطائف.

وعلى كل حال فإن عرب الشمال لم يبلغوا شأو عرب الجنوب في الحضارة والأخذ بأسباب العمران، فصرفوا جهدهم إلى الغزو والنهب والسبي والى رعاية الإبل وحسن القيام على تربيتها، لأنها تقضي لهم جميع حاجاتهم: تحملهم وتحمل أثقالهم، وتغذيهم بلحمها ولبنها، وتكسوهم وتُبنى بيوتهم بأوبارها؛ وبها يفتدون أسراهم وعليها يقايضون في المبايعات، ومنها يؤدون المهور والديات والغرامات.

ز ـ أديانهم:

كان أهل الجاهلية قبيل الإسلام يدّعون أنهم على دين إبراهيم الخليل، وهو الدين الحنيف الذي دعاهم إليه إسماعيل[1]، ثم جاء النبي محمد (ﷺ) مجدداً له. بيد أنهم كانوا بعيدين عن نواهي شريعة إبراهيم، ومهملين ما أتت به من مكارم الأخلاق والدعوة التوحيدية الخالصة لوجه الله، فكثرت معاصيهم واتخذوا وسطاء يتقربون بالزلفى إليه، فانقلبوا عبدة أصنام ليس لهم من ديانة إبراهيم إلا بعض المراسم والمناسك مثل الحج والطواف، والسعي والوقوف بعرفة أو بالمزدلفة وفي رمي الجمار والنحر.

---

(١) إسماعيل: أبو العدنانية يرجعون بنسبهم إليه.

وكان لكل قبيلة صنم تتقرب به، وكان أشهر أصنامهم اللات والعـزى ومناة وهبل الأكبر وودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وانتشرت بين العرب بعض الديـانات كـالنصرانيـة، جـاءت لبلاد العـرب عن طريق الحبشـة وطريق الـرومان، وكاليهودية، جاءت عن طريق مهاجرة اليهود إلى يثرب وشمال الحجاز. وقيل إنها أثرت تأثيراً واضحاً في عصور ما قبل البعثة النبوية، حتى ان أحد ملوك حمير تهود هو وأكثر أتباعه. وعلى الجملة كانوا في جـاهليتهم على أديان مختلفـة، ومذاهب متعدّدة، يؤلّهون الأصنام والكواكب، ويعبدون الله، ويخلطون المذاهب بعضها ببعض، مازجين التوحيد بالشرك، والعقائد السماوية بالعقائد الوثنية. وهم إلى ذلك ليسوا على دين ثابت أو عقيـدة مكينة، شـأنهم في ذلـك شـأن حيـاتهم المتنقلة المضطربة. كما كانت الوثنية في القبائل أعم وأكثر انتشاراً، والأصنام منصوبة في كل ناحية من نواحي الجزيرة، ولا سيما الكعبة. وهي مزار لأكثر القبائل، يحجونها، ويعتمرون إليها، ويُحرِمون عندها، ويطوفون حولها سبعاً، ويلثمون حجـرها الأسود، ويكسونها الحلل والديباج، ويهدون إليها الهدي، وينحرونه متقربين، ويريقون دمه على أوثانها، وكانت السيادة لقريش دون غيرهم، فهم سدنة البيت ورفَدته وسُقاته. ومنهم من عبد النار، أو قال بالثنوية، أو بالدهرية. ومنهم من أحل زواج الأب بابنته. وهذه العقائد سرت إليهم من الفرس والمجوس

وما عندهم من مغتقدات مزدكية ومانوية.

ح ـ عقائدهم:

كانت العرب تؤمن بوجود الجن والعفاريت، وبمخالطتها للإنس في السكن والاستهواء والمؤاكلة والزواج، ولهم فيها شعر وأخبار كثيرة، ويؤمنون بزجر الطير، يتفاءلون به إذا سنح[1]، ويتشاءمون إذا برح[2]، وبالكهانة والعرافة والهامة، ويعوّذون أطفالهم بسنّ ثعلب وسنّ هرة خوفاً من الخطفة والنظرة، ويتعوذون من الجن بالأدعية وسواها. ويتطيرون من الغراب، ولهم غير ذلك عقائد كثيرة.

ط ـ علومهم:

لم يكن للعرب في بداوتهم من العلوم إلا بعض إلمام بما يحتاجون إليه في حياتهم الفطرية، فقد عرفوا شيئاً من الطب والبيطرة، وكانوا يداوون مرضاهم بالعقاقير والكي والحجامة والأشربة، وخصوصاً العسل. وربما استعملوا السحر والرّقى والتعاويذ لإبراء الملسوع وإخراج الجن والشياطين. وكان أطباؤهم في الأغلب، الكهان والعرافون. وقل من كانت له معرفة صحيحة بهذا العلم بينهم.

---

(١) مرَّ من جهة اليمين.

(١) مرَّ من جهة اليسار.

كما عرفوا شيئاً من علم النجوم ومهابِّ الرياح وذلك بكثرة تتبعها والنظر إليها، لأنهم كانوا يهتدون بها في أسفارهم، ويستدلون على سقوط الغيث.

وكانت لهم أيضاً معرفة بالأنساب والأخبار والأساطير، وبالقيافة، وهي الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه، والاستدلال بآثار الأقدام على أصحابها؛ وبالكهانة، وهي معرفة الأمور المستقبلة وتعبير الرؤى والأحلام؛ وبالعرافة، وهي مختصة بالأمور الماضية. وكان أشهر كهانهم شِقٌّ وسطيح وهما من أهل الأساطير؛ زعموا أن شقاً وسطيحاً كانا من أبناء الخالات، قريبين من ظهور الإسلام. وكان شقّ نصف إنسان من أعلى إلى أسفل، وسطيح جسداً ملقى لا جوارح له، يدرج كالثوب، ووجهه في صدره، وليس له رأس ولا عنق، ولا يقدر على الجلوس، إلا إذا غضب، فإنه ينتفخ ويجلس. وكانت ولادتهما في يوم واحد وقيل إنهما عاشا ستمائة سنة، وقيل إن سطيحاً عاش سبعمائة سنة ومات في زمن كسرى أنو شروان.

وأشهر العرّافين عراف نجد وعرّاف اليمامة. وكان عرب اليمن والحواضر المتاخمة أوسع علماً من عرب البادية لاتصالهم بالشعوب المتحضرة المجاورة لهم مثل الفرس والروم والسريان وغيرهم.

ي- الوضع السياسي:

إزاء كل هذه التيارات والأوضاع السائدة، وفي غمرة هذه العوامل والمعتقدات التي سربلت حياة العرب في العصر الجاهلي، لم يكن من الميسور أن يتكون لهذه الجماعات المتفرقة والمتناثرة كيان سياسي محدد المعالم والأهداف، يؤثر فيها تأثيراً قوياً واضحاً.

وقد جاورت العرب في ذلك العصر حكومات ثلاث ذات قوى وقهر وتسلط، هي حكومة الروم وسلطانها في الشام ومشارفه، وحكومة الفرس ومنطقة نفوذها العراق وما جاورها، وحكومة الأحباش ودائرة نفوذها اليمن ونواحيه.

وتقاذفت عرب الجزيرة الأهواء، فهم يدخلون مرة في أهل العراق وتارة مع أهل الشام، حيث كانت الجزيرة خلواً من ملك يفرض عليها سلطانه ويدعم كيانها ويجمع شتاتها، وذلك للنزاع القبلي والتباين العنصري وحب الظهور والبروز الغريزي، على أنه كانت عند بعض القبائل في الحجاز حكومة صغيرة هي حكومة «قريش» كانت مهمتها حماية الحرم والمحافظة على أصنام العرب وأوثانهم، وتيسير الحج ورعاية البيت، إلا أنها لم تكن بذات مظهر قوي يمكن لها في نفوس الجميع؛ حيث ظهر ضعفها حين قصد الأحباش غزو مكة، وإن تكن هذه الحادثة الكبرى قد أثرت تأثيراً واضحاً في

الشعور السياسي، حيث اجتمع العرب من جميع الجهات وشتى الأقطار كي يصدّوا غزو أبرهة الحبشي للحرم، ودانوا بالزعامة لشيخ قريش المسيطر على الحرم لرد عادية ذلك الصائل المعتدي.

وكانت السلطة عند حكومة القرشيين بمكة مزيجاً من زعامة الدين والصدارة الدنيوية، وقد حكمت في الحرم وما حوله بصفتها مشرفة على الحجيج ومنفذة لحكم شريعة إبراهيم، وبحكم كونها صاحبة سدانة البيت. وكانت سدانة الكعبة يتولاها حي من أحياء قريش وهم بنو عبد الدار، كما كانت هنالك دار الندوة وهي مكان التشاور والاجتماع والفصل في بعض القضايا، فهي بمثابة برلمانهم ومجلس شوراهم.

وفيما عدا حكومة الحجاز الشبيهة بالرمزية هذه لم يكن للعرب من مرجع يلجؤون إليه في حل منازعاتهم ومشكلاتهم، مما جعلهم عرضة للتفكك والانقسام والخلافات العصبية.

هذه لمحة عن العرب في العصر الجاهلي وصورة مصغرة عن حالتهم في تلك الحقبة التي كونت بيئة قبيلة عبس وبيئة كلّ قبيلةِ عربيّة أخرى.

٣ ـ لغة العرب وأدبهم

أ ـ اللغة العربية:

العربية هي إحدى اللغات المشتقة من الأصل السامي، والتي بينها وبين شقيقاتها مشابهات كثيرة. وكانت في العصر الجاهلي منقسمة على لسانين: الحميري في الجنوب، والعدناني في الشمال، وكلاهما يغاير الآخر في أوضاعه وأحكامه، وإن تشابها في كثير من الألفاظ والتراكيب.

واللسان العدناني هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة، على ما لحقه من تحضرّ وتبدل، وبه جاء الأدب الجاهلي، ولكن لم يأتنا أدب بلسان حمير، لأن لغة الجنوب فقدت سيادتها بعد كساد التجارة هناك، وحادث سيل العَرِم في مأرب، وتشتت أهلها وهجرتهم إلى الشمال، ومما أفضى بها إلى الضعف أيضاً غزوات الأحباش والفرس ونزولهم في اليمن.

وكان اللسان العدناني متعدد اللهجات بتعدد القبائل التي تنطق به، ولكنه لم يكن يختلف في أحكام التركيب والتصريف والاشتقاق بل اقتصر في تغاير لهجاته على طائفة من

الأوضاع تخالفت القبائل في استعمالها، وعلى انحرافات لفظية من قلب وابدال وزيادات.

وكانت مكة بما لها من تأثير ديني وتجاري، مجتمعاً للقبائل العربية، على اختلاف لغاتها، يحضرون المواسم، ويحجون البيت، ويتقارضون الشعر. كما كانت تقام الأسواق في عكاظ وغيرها، فيؤمّها الناس من كل حدب وصوب، يبيعون ويشترون حتى إذا انتهوا من متاجرهم، انصرفوا إلى اللهو والطرب، فينشد شعراؤهم على مسمع من الجماهير المحتشدة، ويتناظرون ويتفاخرون.

فهذه المجامع بما لها من صبغة أدبية على حالتيها الدينية والتجارية، مشت محمودة الخطى إلى توحيد لسان عدنان، فصار الشعراء والخطباء يختارون الألفاظ التي تألفها القبائل على اختلاف لهجاتهم، ويهملون مستقبح الكلمات والانحرافات، فنشأت عن ذلك لغة أدبية مهذبة عُرفت بلغة قُريش، لما لتلك القبيلة من نفوذ ديني واقتصادي في مكة وعكاظ، واقتصر انحراف اللهجات أو كاد يقتصر على لغة التخاطب. وامتد سلطان الأدب إلى الجنوب لاختلاط القبائل بعضها ببعض في مهاجراتها وأسفارها وشهودها المواسم؛ ثم لسيادة لسان عدنان بعدما ضعف لسان حمير، ولذلك استطاعت وفود اليمن أن تفهم القرآن، وتجادل النبي فيه.

ونزول القرآن بلغة قريش وطد سلطانها، وجعل كل لهجة تغايرها تنهزم أمامها: ولسان العرب في جاهليتهم يمثل حالتهم الفطرية أصدق تمثيل بما له من ثروة متّسعة في الألفاظ الدالة على حياة البداوة، وحدود مرافقها المادية، وبما به من فقر إلى أوضاع تعبر عن الشؤون الحضرية المتنوعة، وفوارق الحالات النفسية الدقيقة، ومختلف العلوم والآداب والفنون.

ومع أن العرب اختلطوا في أسفارهم بالأمم المتحضرة، وشاهدوا عن كثب أسباب عمرانها، لم يتأثروا بها تأثراً بليغاً، لأنهم لم يطلبوا العِلْم عند هذه الأمم لما هم عليه من الأمية والبداوة، بل صرفوا جُل همهم للبيع والشراء، فكان ما أخذوه من الألفاظ الأعجمية وعرَّبوه ليسدّوا به حاجة لغتهم، قليلاً جداً بالإضافة إلى كثرة حاجاتها.

والألفاظ الدخيلة على اللغة العربية أُخذت في الغالب من الفارسية والرومية والهندية، وأكثرها يختص بالأدوات والمنسوجات والشجر والعقاقير، جاءت بها قوافل التجار وأصحاب الرحلات؛ ومن العبرانية والسريانية والحبشية، ولا سيما الألفاظ التي لها علاقة بالدين، أدخلها اليهود والنصارى الذين خالطوا العرب في الحجاز واليمن وأمصار الشام والعراق.

ومن الطبيعي أن تكون لغة العرب المتحضرة في اليمن

وعمان والبحرين والحيرة والشام أكثر اتساعاً لمعاني الاجتماع والعمران من لغة أهل الوبر في الشمال، غير أنها لم تصل إلينا في جملتها، لأن الذين جمعوا اللغة من المسلمين، أهل البصرة والكوفة، نبذوا كل لغة تخالف لغة القرآن، واقتصروا على اللسان المضري، ينقلون ألفاظه وتراكيبه عن قبائل مضرية خالصة البداوة، لم تجاور الأعاجم ولا خالطتهم، كتميم وقيس وأسد وكِنانة وهُذيل. ولم ينقلوا عن سكان الحواضر، ولا عن سكان البراري المجاورة للأمم الغريبة، فحرموا بذلك اللغة من أشياء كثيرة تفتقر إليها، ولم يصل إلينا من الألفاظ الدخيلة إلا ما تكلمت به هذه القبائل أو جرى على ألسنة الشعراء، أو أثبته القرآن.

واللغة الجاهلية قوية التعبير، لا تخلو من خشونة البداوة وغرابة اللفظ، وهي كثيرة الإيجاز، حافلة بضروب الكناية والمجاز، تسلس للشعر والوصف والاندفاعات الخطابية. أكثر مما تلين للعلوم والآداب والفنون.

ب ـ الكتابة في العصر الجاهلي:

غلبت الأمية على العرب في جاهليتهم، ولا سيما عرب البادية، لأن حياتهم الفطرية في حدودها السياسية والاجتماعية لم تتسع لصناعة الكتابة التي إنما تنشأ بنشوء الجماعة المستقرة المنظمة. وتنمو بنمو القوى المفكرة، وتعظم بعظم الحاجة

إليها. بيد أن سكانْ الحواضر من أهل اليمن اصطنعوا الكتابة لما هم عليه من تقدم وعمران، ويُعرف خطهم بالمُسند الحميري، حروفه منفصلة، وفيه شبه بالكتابة الحبشية، ومنه تفرع الخط الكوفي. وترك اليمنيون من آثارهم نقوشاً حجرية يرجع أبعدها عهداً إلى المائة الثامنة قبل المسيح، كشف عنها المنقبون الأوروبيون.

ولم يحرم عرب الشمال فن الكتابة رغم شيوع الأمية فيهم. فإن النصارى في العراق والجزيرة علَّموا جيرانهم الخط المعروف بالجَزْم، وله صلة بالآرامي النبطي، فكانت الكتابة العربية في الأنبار والحيرة وما جاورهما. وكذلك النصارى الأنباط في فلسطين علموا من جاورهم من عرب الشام الخط النسخي الجليل المتفرع من الجزم. وتعلم بعض القرشيين خط الجَزْم من نصارى الحيرة في رحلاتهم التجارية إلى العراق، فحملوه إلى مكة، فظهرت فيهم الكتابة قبل الإسلام، وظهرت أيضاً في يثرب ويرجع الفضل في ظهورها لليهود.

ولبثت الكتابة محدودة في الجاهلية لا يتعلمها من العرب إلا أفراد من أهل الحواضر، وإذا تعلموها لا يبلغون فيها حدَّ الإحكام والإتقان، ولا يستعملونها إلا في شؤونهم الاقتصادية. ولم يخلّف الشماليون نقوشاً حجرية بلغتهم العدنانية الخالصة، كما خلف الجنوبيون بلغتهم القحطانية،

إلا ما كان من الآثار التي وجدت في حوران، مكتوبة بلغة نبطية تغاير أحكام اللسان العربي في كثير من ألفاظها وتراكيبها.

وبقيَ العرب إلى أول عهد الإسلام لا يجيدون الكتابة، ولا يسلمون من الغلط في الإملاء كما تدل المصاحف التي رسمها الصحابة بخطوطهم حتى نزلوا الكوفة والبصرة، واحتاجت الدولة إلى الكتابة، فعنوا بإتقانها، وكتبوا بالخطين النُسخي والكوفي. ثم ترقّت الخطوط بعد الفتوح الكثيرة، وتشعّبت فروعها في بغداد وإفريقية والأندلس إلى أن بلغت حالتها الحاضرة.

ج ـ الأدب الجاهلي:

كان الأدب الجاهلي يتداول شفهياً ويحفظ في الذاكرة لا في الأوراق والكتب. وما من شك أن الشعوب الفطرية أحدُّ ذاكرة من الشعوب المتحضرة التي شاعت عندها الكتابة، لأن الشعب الذي لا يملك المقدرة على الكتابة ليعتمد عليها في حفظ آثاره، يضطر إلى استخدام ذاكرته بدلاً منها لحفظ هذه الآثار، فتقوى ذاكرته بالاستعمال والمران، فيسهل عليها اختزان مختلف الآثار. وتكثر عادة الرواة في العصور الشفهية، فتقوم مقام الكتب والدفاتر.

وقد كان لكل شاعر في الجاهلية راوية يحفظ شعره، ويرويه للناس. ولربما روى الشعراء أنفسهم بعضهم لبعض.

فقد كان زهير راوية لأوس بن حجر، والحطيئة راوية لزهير.

وبطريق الرواية دُوِّن الأدب الجاهلي بعد شيوع الكتابة، ولكنه لم يصل سالماً، فقد ضاع منه شيء كثير لم ينقله الرواة، أو ضاعت روايته فلم تَصِل إلينا. ودخل عليه نحل مما وضعته العشائر والرواة والعلماء في الإسلام، لأسباب منها المنافسات القبلية، ومنافسات الرواة في الحفظ، وحرصهم على التكسب والحظوة به، حتى انهم وضعوا اشعاراً على لسان آدم وابليس والملائكة والجن، وعلى لسان عاد وثمود والعمالقة ومنها منافسات علماء البصرة والكوفة في إيراد الشواهد الشعرية لتفسير الألفاظ التي أُشكل فهمها، وتخريج المسائل اللغوية والنحوية.

على أن هذا النحل لا يجعل سبيلاً لتعميم الشك في الشعر الجاهلي، ولا سيما القصائد التي أجمع الأدباء العباسيون على روايتها، ولم يختلفوا في نسبتها إلى أصحابها. وخاصة أن كثيراً من الشعر المنحول أشار إليه النقاد الأقدمون، وكذبوا رواته. وأما ما جاء به العلماء من الشواهد الشعرية، فإذا كان في بعضه من اصطناع فإنما هو مقتصر على أبيات متفرقة لا يتعدّاها إلى القصائد.

والأدب الجاهلي في معظمه قائم على الشعر، لأن أكثر ما جاءنا من النثر مشكوك فيه، حتى لو صحت الخطب التي

خلصت إلينا، لما رأينا فيها مادة كافية للدرس، وهكذا يصح القول أيضاً في الأمثال وسجع الكهان.

والإنسان الفطري عامة، في صفاء نفسه وفيض شعوره وصدق مخيلته، شاعر بالفطرة، ولذلك كانت لغة النثر في الشعوب القديمة محاكية لغة الشعر في مجازها وخيالها وموسيقى ألفاظها. والأدب العربي في طفولته لا يخرج عن هذه السنّة الطبيعية، فلغة النثر كلغة الشعر تكاد لا تختلف إلا بالأوزان والقوافي. والشعر في أول أمره لم يكن إلا أشطراً لا ضابط لها، يرتبها البدوي على هواه ويتغنّى بها ويحدو إبله، والانسان من طبعه أن يميل إلى الغناء في حزنه وفرحه، في خوفه وأمِنه، في راحته وتعبه. ولعل السجع الذي كان ينطق به كاهن القبيلة وشاعرها، هو المظهر الفني الأول للأدب العربي، بل هو المادة المشتركة بين الشعر والنثر. ثم أخذ الشعر بعد ذلك ينفرد بأوزانه وقوافيه، فظهر أولاً بحر الرجز ألين البحور وأدناها إلى السجع في حال تطوره؛ ثم تفرّعت البحور وتنوعت.

وأما بدء ظهور الشعر العامودي فلا يمكن الرجوع به إلى تاريخ محدد معروف لضياع الآثار التي وجدت قبل الشطر الأخير من القرن الخامس. ولكن الرواة يتفقون على أن عهد المهلهل وامرىء القيس هو عهد ازدهار هذا النوع من الشعر، وظهور القصائد الطويلة، واستقرار الأسلوب التقليدي.

ولا ريب أن الحروب كان لها أثر بليغ في إذكاء القرائح، وعلى الأخص بعد انطفاء جذوتها، وسكون النفوس المضطربة، إذ لا يأتي عمل فني محكم، والنفس جائشة لا قرار لها. حتى إذا هدأت الخواطر واطمأنت ظهر الشعر فخراً ومنافسة ووصفاً للمعارك يتغنى به المنتصرون، وندباً ورثاءً للسادة المقتولين، وحضاً على الأخذ بالثأر.

على أن أسباب النهضة لم تقتصر على الحروب، فهناك أيضاً هجرة اليمنيين واختلاطهم بالعدنانيين، إن هذا الاختلاط، أحدث تفاعلاً في الأذهان، وولّد منافسات حزبية لا نهاية لها. وكذلك الأسواق، وعلى رأسها عكاظ، فإنها استحثّت كذلك قرائح الشعراء لاحتشاد القبائل فيها للبيع والشراء والمفاخرة والمنافرة.

مقام الشاعر:

وكان للشاعر عندهم تأثير عظيم، وله بينهم مقام سام، فهو محامي القبيلة وخطيبها ومؤرخها، وقد يكون كاهنها أيضاً، لما له، في اعتقادهم، من صلة بالأرواح إذ جعلوا له شيطاناً أو تابعاً من الجن يوحي إليه الشعر، ويلقنه الآراء والحكم والمواعظ. فهذه المنزلة الرفيعة في مجتمعه وبيئته جعلته ينشط للقيام بمهمته خير قيام كلما دعاه الأمر إليها. فكثر الشعر وقائلوه، وتبارت القبائل في تقريب الشعراء وإكرامهم،

ولا سيما الغرباء منهم، ليمدحوهم ويشيدوا بذكرهم. وكانت قصور المناذرة والغساسنة تستقبل شعراء البادية، وتحسن لهم الصلات، فأثّرت هذه الأعمال مجتمعة في نهضة الشعر تأثيراً بليغاً.

ولبث الشعر طوال العصر الجاهلي محصوراً في البادية لا يتنفس في خارج الجزيرة إلا بشعراء منها كانوا يقصدون الشام أو العراق لمدح الغساسنة والمناذرة، ولم يعرف في الحيرة غير شاعر واحد هو عدي بن زيد، رغم أن أصله من عرب الجزيرة ومن تميم بالذات. ولربما كان اختلاف لغة مضر عن لغة الشام والعراق، وهي غير خالصة العروبة لما شابها من الآرامية هو الذي صرف الرواة المسلمين عن جمع أشعارها كما صرف اللغويين عن نقل ألفاظها وتراكيبها لمخالفتها لغة القرآن. وهذا لا يمنع أن يكون بنو جفنة وبنو لخم قد عرفوا لغة مضر وفهموها، واستقدموا شعراءها إلى قصورهم وأجازوهم لكي يشيدوا بذكرهم في القبائل العربية، لحاجتهم إلى بسط سلطانهم عليها، والإفادة منها في حروبهم، فكانوا لذلك مضطرين إلى معرفة اللغة العدنانية، وربما استرضعوا أطفالهم في البادية ليأخذوا اللسان عن الأعراب.

٤ ـ الشعر الجاهلي

أ ـ ميزته:

وللشعر الجاهلي أبواب رئيسة مستقلة، وهي: الفخر والحماسة، والمدح، والهجاء، والرثاء؛ وأغراض إضافية غير مستقلة أو ثانوية: كالغزل، والطبيعة، والخمريات، والحكم والمواعظ.

والوصف أعظم ركن يعتمد عليه شاعرهم في مختلف أبوابه وأغراضه، لما له من عين نافذة شديدة اللحظ دقيقة المراقبة، تتنبه لكل ما يحيط بها من الموصوفات، وهي محدودة في البادية، فإذا أراد أن يصف شيئاً ما، لا يصف إلا ما يؤثر في نفسه مما يعايشه ويسمعه ويراه، أو مما يتوهمه فيحسه وتنطبع له صورة بليغة في خياله، وأحاط بالموصوف من أظهر نواحيه وأبرزها، أو احاط بناحية منه يطلبها دون سواها، مشبعاً موصوفه في كل الأحوال، مخرجاً عنه صوراً حسّية رابية الملمس تنقله أحياناً نقلاً آلياً مهذباً، وتخلقه حيناً خلقاً شعرياً ذكياً.

ويخرج من الوصف إلى قصص قصيرة يحدّث بها عن

مغامراته الغرامية، أو عن معاركه وغزواته، أو يروي شيئاً من الأخبار والأساطير مما انتقل إليهم أو نشأ في باديتهم.

على أن خيال الجاهليين لم يتسع للملاحم والقصص الطويلة، ربما لانحصاره في باديةٍ متشابهة الصور، محدودة المناظر، ثم لماديتهم وكثافة روحانيتهم، ثم لفرديتهم وضعف الروح القومية والاجتماعية فيهم، ثم لقلة خطر الدين في قلوبهم وقصر نظرهم عما بعد الطبيعة، فلم يلتفتوا إلى أبعد من ذاتهم، ولا إلى عالم غير العالم المنظور، ولا تولّدت عندهم الأساطير الخصيبة؛ ولم يكن لأصنامهم من الفن والجمال ما يبعث الوحي في النفوس شأن أصنام اليونان والرومان مثلاً، فقل من ذكر منهم أوثانه واستوحاها في شعره.

كما لم يساعدهم مجتمعهم على التأمل الطويل وربط الأفكار وفسح آفاق الخيال، لاضطراب حياتهم وعدم استقرارها ورحيلهم المستمر، بسبب ظروف معيشتهم الصعبة، فجاء نفسهم قصيراً كإقامتهم، وخيالهم متقطعاً كحياتهم، ولكنه كان صافياً واضحاً كسمائهم، داني التصور محدود الألوان كطبيعتهم. وكانت ثقافتهم الأدبية فطرية خالصة يتغذى بعضهم من بعض، ولا يقبلون لقاح الآداب الأجنبية الراقية لجهالتهم واعتزال باديتهم وتمردها.

وكذلك يمكننا القول بالنسبة إلى علومهم فقد كانت هي

الأخرى ساذجة لا تفتح نوافذ النُّور للنظر في النفس وما بعد العالم المادي.

كما جاءت حروبهم في كثرتها أياماً وغزوات لا تجاوز البادية والقبيلة، حروب كرٍّ وفرٍّ، لا حروب زحف وفتح؛ فلهذه الأسباب كلها لم يوجد لديهم ملحمة كملحمة هوميروس في حصار طروادة مثلاً، ولا أي شكلٍ من أشكال الملاحم، بل اقتصر شعرهم على أغراض وجدانية تغمرها الذكريات. مبتورة القصص، يتواطأون عليها بأسلوب متشابه الاتجاه متداول المعاني والتعابير، فيستهلون على الغالب، ولا سيما القصائد الطوال، بذكر الديار الخالية والوقوف على الأطلال للبكاء أو للتحية والسؤال، معددين المواضع التي توصل إليها أو تحيط بها، متشوِّقين إلى أحبتهم يوم كانوا يعمرونها، مشببين بهم مستعيدين ذكرياتهم معهم وكيف كانت ساعة فراقهم. ثم يرحلون على نوقهم مفرجين بها همهم، قاصدين الحبيبة أو الممدوح، فيصفونها عضواً عضواً وصفاً دقيقاً، ويصورون سرعتها ونشاطها؛ ثم ينتقلون بعد ذلك إلى المدح أو الفخر أو غير ذلك، حيث يجتمع لهم في قصيدة واحدة عدة أغراض، ويكون انتقالهم من موضوع إلى موضوع آخر في الأكثر اقتضاباً ووثباً، وربما انتقلوا بواسطة كأن يقول الشاعر مثلاً: دعْ ذا، وعد عن ذا.

وتشيع في شعرهم روح الفطرة بماديتها وسذاجتها

وحريتها وأَنفتها، وبما فيها من صدق في ذكر الحقيقة، إذا لم تثر في النفس عوامل عاطفية تحملها على الكذب والمغالاة. فالجاهلي صادق في الكلام على حياته وأحواله ومجتمعه، صادق في مدحه وهجائه إلى حد لا يسلم عنده من الغلو؛ ولكنه كاذب في كثير من مفاخره، وعلى الأخص إذا وصف الضيافات والقدور والحروب وكثرة العدد والعُدد والقتلى؛ مغالٍ مفرط في مراثيه؛ وإذا كان الشخص الذي يرثيه قد مات مقتولاً يبالغ في ندبه وتعداد مناقبه ليستثير شعور القبيلة، ويحثها على الأخذ بثأره.

ب ـ لغة الشعر الجاهلي:

ولغة الشعر الجاهلي قوية المدلول في ألفاظها الوضعية، سواء كان التعبير حقيقياً أو مجازياً، خشنة كثيرة الغريب، ولا سيما لغة الشعراء الذين نشأوا في قلب البادية بعيدين عن الأمصار المتحضرة. وهي مع ذلك متوافرة الصور في تشابيهها الحسية وما يختلف إليها من استعارات وكنايات، قليلة الاحتفال بأنواع البديع كالجناس والتورية والطباق؛ جارية مع الطبع بريئة من التكلّف، سواء جاء اللفظ عارياً أو كاسياً. فقوة الشعور الفني وحدها تهدي الجاهلي إلى اختيار الفاظه واخراجها من معدن واحد، وإجادة تنزيلها وتأليفها، فتأتي محكمة التركيب متماسكة الأطراف، تعبّر بتموجاتها وأجراسها

أصدق تعبير عن الحالة التي يحسها في نفسه ويتصورها في خياله.

وفي تشابيهه وكناياته واستعاراته دلالات بينة على حياته وطبيعة أرضه، فأكثرها مستمدّ من بيئته الصحراوية نباتها وحيوانها، ومن مرافقها المحدودة ومعيشة أهلها، ومن عاداتهم وعقائدهم وأساطيرهم.

وقد ينحط إلى تشابيه قد ننكرها في زماننا هذا، ولا تستنكرها فطرته، كتشبيه امرىء القيس أصابع محبوبته بالأساريع، وهو دود أبيض اللون لدن الأبدان، أحمر الرؤوس، وتشبيه طرفة نفسه بالبعير المعبد، أي المطلي بالقطران لجربه.

ومن مذاهبهم في الشعر، إذا شبهوا، أن يتركوا المشبّه وينصرفوا إلى المشبه به ليصفوه ويدققوا في وصفه. وأما معاني الشعر الجاهلي فإنها لا تخلو من الغموض، وقد يعود ذلك إلى غرابة الألفاظ وما فيها من إيجاز وحذف، أو إلى ما تتضمنه من تلميحات إلى حوادث تاريخية، أو إلى عقائدهم وعاداتهم مما لا تُدرك مقاصده إلا بمعرفة حياتهم وأخبارهم.

وأما الغموض الفني فقليل عندهم لمادية ألفاظهم، وبعدها عن الرمزية والتصوف؛ ثم لضعف روحانيتهم وضيق خيالهم ودنو تصورهم وعنايتهم بسرد الأخبار وإظهار الحقائق

المحسوسة، واعتمادهم على الأساليب الخطابية الواضحة والحكم والأمثال البديهية.

ج ـ البحور والأوزان:

جاءنا عنهم من الأوزان خمسة عشر بحراً ضبطها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وزاد عليها تلميذه الأخفش بحر الخبب، ويسمى أيضاً المتدارك لأنه تداركه لاحقاً، وأكثر ما نظموا على الأبحر الكثيرة التفاعيل، لفخامتها وصلاحها للوصف وذكر الحوادث كالبحر الطويل والكامل والبسيط، ثم على الأبحر اللينة التي تصلح للأغراض الوجدانية والعاطفية كالوافر والخفيف والرمل. ولم يخلُ شعرهم من زحاف مستكره نستقبحه اليوم ونأبى استعماله.

ومنظومهم قصيد ورجز، وأراجيزهم، في الغالب، قصيرة، وهي مثل قصائدهم تجري على قافية واحدة ووزن واحد. ويستحسن عندهم تصريع المطلع أو تقفيته، وربما صرّعوا أو قفوّا في غير المطلع. ولهم في ذلك من سلامة الطبع ما يرشدهم إلى اختيار القافية الملائمة للبيت في معناه ولفظه، بحيث تأتي متممة له في انسجامها وحسن وقعها وقرارها. ولكنها رغم ذلك لم تكن تخلص من عيوب مذمومة كالإقواء[1]

---

(١) الاقواء: اختلاف إعراب القوافي.

والإكفاء[1]، وأنواع مكروهة من السناد[2].

وبيت الشعر عندهم صورة لحياتهم المضطربة غير المستقرة ولتقطع أفكارهم وخيالاتهم؛ فهو يستقل بمعناه عما قبله وبعده، وقليلاً ما عدلوا إلى التضمين، وهو أن لا يتم معنى البيت إلا بالذي يليه، ولكنهم كانوا يكرهون المعاظلة، وهي التضمين في القافية.

وهذا الاستقلال في بيت القصيدة جعلها عرضة للتشويش في مواضع كثيرة، فقد يحذف منها ولا يُحَسُّ نقصانها، وقد يبدَّل ترتيب أبياتها ومع ذلك لا يظهر خلل فيها.

على أن الشعر الجاهلي المستقل ببيته، لا ببنايته، يرتفع أحياناً إلى غاية الجمال؛ وهو في الجملة أخلص الشعر القديم جوهراً، وأصدقه شعوراً وتعبيراً وإيحاءً، يأتي به الشاعر بقوة الإحساس الفني، على فطرته وصفاء نفسه، مع ما فيه من بداوة وخشونة.

---

(١) الأكفاء: اختلاف الحروف في الروي.

(٢) السناد: كل عيب يحدث قبل الروي.

٥ ـ بنو عبس

أ ـ نسبهم :

عبس هي القبيلة العريقة التي نَجَلَت عنترة وانجبته. وبنو عبس هم اخوة لبني ذبيان قبيلة النابغة الذبياني؛ وبنو عبس وبنو ذبيان وبنو عبد الله يمثلون فروعاً متحدرة من بني غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وقيس عيلان هو الأصل الثاني من أصلي مضر العظيمين.

ب ـ تاريخهم :

وغطفان بن سعد بن قيس عيلان، هي قبيلة كانت لها شهرة كبيرة عند ظهور الإسلام، وقد انحازت إلى قريش في حروبها ضد المسلمين. وكانت ديار هذه القبيلة مجاورة للمدينة «يثرب» في الجهة الشرقية الشمالية في الحرار والأودية الواقعة فيما بين المدينة وبين فدك وخيبر منساحة إلى الشرق على ضفاف وادي «الرمة» الذي ينحدر من المرتفعات الواقعة شرقي المدينة وشماليها، ومنتشرة على روافد الوادي من الأودية التي تأتيه من الشمال ومن الغرب.

ج ـ بعض مشاهيرهـم :

ومن مشاهير قبيلة عبس: زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعـة بن مازن بن الحـارث بن قطيعـة بن عبـس الذي لم تقتصر سيادته على عبس وحدها بل شملت غطفان كلها، وابنه قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء. والربيع بن زياد فـارس غطفـان وإخوتـه الـذين يقـال لهم الكَمَلَة لاكتمـال صفـاتهم، وعروة بن الـورد الشـاعـر، ومـروان بن زنبـاع. ولزهير بن جـذيمة السـالف الذكـر إخوة نبـلاء أيضاً عـرفوا بالشجاعـة وعلو الصيت، وساور بن هنـد بن قيس بن زهير الشاعر. ومنهم عنترة، والحطيئة الملقب بجرول، وخالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم الذي قال فيه النبي (ﷺ): «نبيّ ضيعه قومه».

ومنهم في صدر الإسلام قرة بن حصين بن فضالة بن الحارث بن زُهير الذي أرسله النبي (ﷺ) داعياً للإسلام إلى بني هلال بن عامر فقتلوه، ومنهم حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل. ومن منجبات نسائهم: ولادة بنت العباس بن جزء بن الحـارث بن زهير، أم الـوليد وسليمـان بن عبـد الملك بن مروان.

د ـ ديار عبس ومنازلهم :

كانت ديار بني عبس هي ديار قبيلتهم «غطفان»، إلا أن

الحروب التي حدثت بين فروع هذه القبيلة وأشدها حرب «داحس والغبراء» دفعتهم إلى النزوح عن مواطنهم القديمة، وكانت بين أبانين والنقرة وماوان والربذة.

وأما هذه المواقع كما تُعرف حديثاً فهي: أن «أبانين» هما جبلان في غربي القصيم يسمى أحدهما «أبان الأسود» والثاني «أبان الأبيض»، ولا يزالان يعرفان باسميهما حتى اليوم، وأما «النقرة» فمنهل من المناهل وتقع في الطريق بين نجد والمدينة، وتبعد عن المدينة في الجهة الشرقية مسيرة ثلاثة أيام للإبل.

وأما «ماوان» فهو ماء في واد يعرف بهذا الاسم بقرب منهل ماء النقرة التي كثيراً ما تضاف إليه. ثم انساحوا شرقاً حتى استقروا في «القصيم» تاركين أبانين الجبلين الواقعين شرق بلادهم القديمة غرباً، يفصل بينهم وبين بلادهم الأولى، بنو أسد.

وعلى هذا فديارهم تُحدّ: غرباً بجبلي أبانين وجبل قطن ويدخل هذا فيها. ومن الشمال بأطراف القصيم الشمالية. ومن الشرق بالرمال الواقعة شرق القصيم. ومن الجنوب بإقليم السر. ومن الجنوب العربي «بإمرة» و«كثير» وحدود «حمى ضرية».

وإذن فمنازلهم هي ديار القصيم ونواحيه يجاورهم شمالاً

وغرباً بنو أسد وشرقاً بنو تميم وجنوباً بعض قبائل قيس عيلان.

هـ ـ بقية عبس:

إن القبائل العربية تداخلت وامتزج بعضها ببعض وانضم كثير منها إلى من يجاورها من القبائل أو يماثلها في الاسم، وزالت العصبية القبلية من كثير منها بسبب ضعفها وسيطرة قبائل أخرى أقوى منها عليها، وكل هذا يصدق على قبيلة بني عبس، التي كانت تعد في العهد الجاهلي من «جمرات العرب» فانطفأت، فقد انضم قسم منها إلى قبيلة جهينة فاندمج فيها، وبقي قسم منها في منازله الأولى غير محتفظ بمميزاته القبلية القديمة لضعفه، وفي بلدان القصيم أناس من بقايا عبس، كما أن في أطرافه الغربية أيضاً «الحجناوي» وفي أبانين أناس يدعون هتيماً هم في الغالب من بقية بني عبس.

كما أن لعبس تاريخاً جاهلياً يجد الباحث طرفاً صالحاً منه في «أيام العرب»، أورده النويري وابن الأثير وابن عبد ربه وصاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني.

ولعبس كذلك تاريخ إسلامي حافل، ولكثير من أفرادها أخبار في الفتوحات الاسلامية في العهدين الأموي والعباسي مدونة في التواريخ المطولة، وهذا ما يحملنا على القول بأن قبيلة عبس قبيلة عربية معرقة ذات تاريخ مجيد.

٦ ـ عنترة في سجل التاريخ ـ

أ ـ هويتـه :

عنترة هو أحد أمثلة الفتوة والبطولة العربية في عهد ما قبل الإسلام، وعلم شامخ من أعلام القوة والنضال والصبر والجلد عند استعار وطيس الوغى واشتعال نار الحرب والقتال. لقد كانت حياة أسد البيداء، وقاهر الصحراء، سلسلة انتصارات رائعة سطرت أمجاده في التاريخ بحروف متألقة، وجعلته اسطورة من الأساطير تتحدث عنها الأجيال وتفاخر بها القرون. ويكفي عنترة فخراً وشرفاً أن الرسول (ﷺ) عندما وصف له قال: «ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة».

ولا مراء مطلقاً في أن عنترة كان أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وأبعدهم صيتاً وأسيرَهم ذكراً. كما كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، وأجودهم بما ملكت يده، وأوفاهم بالعهد وأنجزهم للوعد.

ب ـ نشأته وبيئته وعشيرته :

نشأ عنترة نشأة العربي الأبي في صحراء نجد، بعيداً عن ترف المدنية وصخب الحضارة، كما ينشأ أبنـاء قومـه بني

عبس، وقد اكسبته بيئته الصحراوية بساطتها وصراحتها، وعوّدته على الصبر والجلد وشدة البأس وقوة المراس.

ولم تخلُ نشأة عنترة من العقد النفسية، فقد نجله أبٌ من أشراف القوم وأعلاهم نسباً، ولكن هجنته جاءته من ناحية أمهّ الأَمَة، ولم يكن ابن الأَمة بالذي يُلحق بنسب أبيه إن لم يبرز بروزاً واضحاً في نواح من حياته تشهد له بعظمة شخصيته وأحقيته للشرف الرفيع، وإلا ظل عبداً رقيقاً لا فرق بينه وبين باقي العبيد الأرقاء الذين يقتنون بالمال.

ج ـ اسم عنترة ونسبه:

بعض من الناس يسمون «عنترة» عنتراً دون تاء مربوطة. وربما أغراهم بذلك ما ورد في شعره، ولكن بعضَ الباحثين يرون ان اسم عنترة بالتاء المربوطة هو بلا شك أقرب إلى الصحة.

وعنترة هو ابن عمرو بن شداد وإن غلب اسم جده على اسم أبيه، وقيل شداد بن معاوية بن قراد بن مخزوم بن ربيعة هو عمّه وقيل مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قيطعة بن عبس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. ولد لأبيه من أَمَةٍ حبشية، فأتى أسود اللون، مشقوق الشفة السفلى، فكان لذلك يقال له «عنترة الفلحاء» ويُكنى «بأبي المغلس» أي السائر في الظلام، ويُعدّ

من «أغربة العرب» إشارة إلى سواد لونه الذي اكتسبه من أمه زبيبة الحبشية، ولعنترة إخوة عبيد من أمه ولكن من غير أبيه.

د ـ مدارج صباه ومطالع شبابه:

ولد عنترة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي. وقد ذاق عنترة في صباه مرارة الحرمان وقسوة العيش ومهانة الدار مثله مثل جميع أترابه ورصفائه ممن لم يستلحقهم آباؤهم بأنسابهم، فقد كان أبوه هو سيده يعاقبه أشد عقاب على ما يقترفه من هنات تافة، وكانت سُمية زوج أبيه لا يلذ لها شيء كما يلذ لها أن تدس له عند أبيه وتحوك له من المكائد ما يجعله عرضة لأشد العقاب وأصرمه فيوقع به والده أعنف العذاب، ومن ذلك أنها حرشت عليه والده مرة وقالت له: إن عنترة يراودني عن نفسي، وما كان أشنعها من سبة غضب لها أبوه غضباً شديداً وعصفت برأسه حميته، فألصقه الثرى وضربه ضرباً مبرحاً بالعصا وأتبعها بالسيف، ولكن سمية أدركتها الرحمة آخر الأمر فارتمت عليه باكية تمنعه ضربات أبيه وتذود عنه حر العصا وذباب السيف، فرق لذلك أبوه وكف عنه، ولعله أدرك أخيراً أن تلك إحدى مكائدها للفتى، ولكن هذه الحادثة انطقت عنترة شعراً معبراً فيه مأساة صباه حيث قال:

أمن سمية دمع العين مذروف
لو أن ذا منك قبل اليوم معروفُ

تـجـللتـنـي إذ هـوى بـالـعـصـا قـبـلي
كـأنـهـا صـنـم يـعـتـاد مـعـكـوفُ
الـعـبـد عـبـدكـم والـمـال مـالـكـم
فـهـل عـذابـك عـني الـيـوم مـصـروفُ
تـنـسـى بـلائـي إذا مـا غـارة لـحـقـت
تـخـر مـنـهـا الـطوالات الـسـراعـيـفُ
يـخـرجـن مـنـهـا وقـد بـلـت رحـائـلهـا
الـمـاء تـركـفـهـا الـشـمّ الـغـطاريـفُ
قـد أطعن الـطعنـة النجـلاء عن عـرض
تـصـفـر كـفّ أخـيـهـا وهـو مـنـزوفُ

وهو شعر فيه استعطاف، وفيه اعتزاز بمشاركته في حرب أبيه وتذكير بمواقفه منه وتفانيه في خدمته واستماتته في نصرته.

على أنه لم يمر طويل وقت حتى وجد أبوه نفسه مضطراً إلى الاعتراف به وإلى الفخر بتصحيح نسبه إليه، وذلك أن قبيلة طيء أغارت على بني عبس ترد ثأراً لها عندها، إذ سبق لعبس أن غزتها واستاقت إبلها، وكان عنترة مع قومه في حومة النزال، ولكنه اشترك مدافعاً لا مهاجماً؛ وقيل ان سبب ذلك أنه كان قد ساهم من قبل في غزو طيء ولكنهم بخسوه حقه في الغنيمة، إذ فرضوا له نصيب العبد منها وهو النصف فأباه، ومن

ثم تقاعس عن خوض المعركة، واشتد الخطب على عبس حتى كادت أن تسلب خيراتها وتدور عليها الدوائر، وحينئذ هتف أبوه به أن كر يا عنترة، ولكن عنترة الذي أوهت العبودية نفسه وأذلها الرق والذي شوى قلبه ما كان يصيبه من تعيير وما يناله من هوان، أجابه دون مبالاة: العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر... وحينئذ لم يجد أبوه بداً من أن يعيد له اعتباره ويلهمه الثقة بنفسه فصرخ: كرّ وأنت حرّ، فكر عنترة يملؤه الزهو والفخار منشداً:

أنا الهجين عنترة
كل امرىء يحمي حره
أسوده وأحمره
والشعرات المشعره
الواردات[1] مشفره

وقاتل عنترة كما يقاتل الأبطال الذين يحمون عرينهم ويذودون عن حماهم أن يداس أو تطأه أرجل الأعداء، وكانت الغلبة لفارس عبس الذي سرعان ما احتفلت القبيلة به وكرمت فيه فتاها البطل وليثها المناضل.

وكان عنترة، بعد ذلك، إذا مست كبرياؤه أو جرحت

---

(١) الواردات: الطويلة.

مشاعره من ناحية أمه رد على ذلك بأنه إن تكن أمه جارية من الإماء فإن أفعاله وشمائله وشجاعته تعوض ما نقصه من جهة النسب، ولا سيما أن أباه من خير عبس حسباً ونسباً، وهو في ذلك يقول:

إنـــي امــرؤ مـن خـيــر عـبس مــنـصـبـاً
شــطري وأحـمـى سـائـري بـالـمـنـصـل

وإذا الـكـتـيـبـة احـجـمـت وتـلاحـظت
ألـفـيـت خـيـراً مــن مـعـمّ مـخـول

فهو يفخر بجلائل عمله وباهر خلاله وصدقه في منازلة الأعداء إذا ثار النقع وانعقد غبار المعارك، إذ هو في وسط المعمعة بإقدامه وجراءة جنانه خير من صاحب النسب ذي الخؤولة والأعمام.

هـ ـ حياتـه:

عنترة شاب مفتول العضل قوي الساعد رُد له اعتباره، فانتسب إلى بيت من خيرة بيوتات عبس وأعلاها، ونبغ في قبيلة بارزة عظيمة الخطر من قبائل العرب هي قبيلة «عبس» وخبره قومه فإذا هو أشجعهم قلباً وأفصحهم لساناً وأثبتهم جِناناً وأقوى فرسانهم بطشاً وأكثرهم تبصراً بفنون الحرب والقتال.

وسرعان ما دوّى ذكر فارس عبس في الآفـاق، هـذه القبيلة التي أحبت الغزو وتعشقته كمثيلاتها من قبائل العرب.

فإذا بعنترة بطل مرهوب الجانب ترتعد لذكره فرائص الفرسان وتحسب له القبائل ألف حساب. فتناقلت أخباره الأفواه وتحدثت بذكره الركبان. كان يكر إلى ساحات الوغى كرة الليث الهصور لا تقف أمامه عقبة ولا يحول دون بغيته حائل، وكانت له فراسة قوية تصيب ولا تخطىء، وكأنما أُلهم نفسيات الرجال وعرف كيف يدخل إلى صدورها ويتوغل أسرارها، ويكتنه دخائلها، ويصل إلى مواطن القوة والضعف فيها. إنه يجول في المعركة ويصول حتى إذا رأى الجبان حائراً متردداً نهد إليه معجلاً وعاجله بالضربة القاصمة أو الطعنة الهائلة، فيخر صريعاً يتخبط بدمه كالشاة الذبيحة، ويبصره الشجاع فينخلع قلبه لهول المنظر وتهتز نفسه خوفاً ورعباً، وحينئذٍ يكون عنترة له بالمرصاد فلا يمهله حتى يسترد أنفاسه ورباطة جأشه بل يعاجله بضربة قوية يلحقه بها بالجبان فَيُزاوج بينهما ويخلد له ذكراً تنخلع له القلوب وتخفق لأجله الأفئدة.

وكان يتجنب في حياته المزالق فلا يلقي بنفسه إلى التهلكة. فهو يقدم إذا رأى الإقدام عزماً، ويحجم إذا رأى الاحجام حزماً. ولا يدخل موضعاً إلا إذا رأى له منه مخرجاً ومنفذاً، وهذه الأمور ولا شك من أقوى الأسباب التي جعلت من عنترة أشهر فرسان العرب المجربين المحنكين في زمانه. فالحذر ووزن الأمور مما يعين على الانتصار ويرد عوادي الهزيمة والانكسار.

وهناك سبب كان من أقوى الأسباب التي حفزت عنترة إلى خوض الشدائد، وعلى قول الشعر، الا وهو حبه الجامح لآسرة لبه ومالكة فؤاده وهي «عبلة» ابنة عمه مالك بن معاوية. وما أعظم خطر الحب وأبعد مداه في حياة الخالدين المبرزين.

و ـ شخصيته:

يتمثل عنترة لعارف خبر بطولاته وفروسيته، ولقارىء شعره، عملاقاً ضخم الجسم عظيم الهامة، مفتول الساعدين، عبل الذراعين، ملتمع العينين، حاد النظرات، حسن القسمات، صلب العود، أسود اللون.

وهو انسان أبي لا يقبل الضيم، حساس ذكي الفؤاد، كثير الوفاء لا يطيق العقوق، جواد كريم وافر السخاء، شجاع قوي القلب، حتى إذا جد الخطب ألفيته طليعة القوم يحمل حملة الأسد الرئبال، ويكر كرة القسورة تتحاماه الفرسان وتكره لقاءه الفرسان والأقيال، وإذا نهد لعدوه فكأنه القضاء المسلط أو الشهاب المنقض أو البركان المتفجر أو اللهب الثائر.

ثم هو صاحب مروءة ونجدة وحمية لا يستبي النساء ويعاف المغانم ويحفظ الحرمات ويرعى الجوار ويقيل العثرات ويتسامح في الزلات نفس أبية كريمة تكاد تقترب بقوة نحو الكمال الانساني. كما أنه في الحرب حامي حمى القبيلة

وفارس القوم وقائدهم يحتمون به إذا عتا الكرب وحمي الوطيس بالطعن والضرب.

كل هذه الصفات الخلْقية والخُلُقية هي التي مكنت له شهرته في الناس ومكانه في القلوب وهيبته عند أعدائه واقتعاده ذروات المجد على مدى الزمان.

ز ـ صور من شمائله في شعره:

من حسن شمائله أنه يفضل الاستقلال في الرأي بأن يُكوّن لنفسه نهجاً من ذات نفسه يحث خطاه إليه لا يقوده إليه قائد. فهو يستحثّ الفتيان على أن يخوضوا الصعاب ويقتحموا الأهوال بفؤاد ذكي وأنف حميٍّ، وأن يحسنوا وفادة الضيوف، وحل ما يعترض طريقهم من مشكلات فلا تتبدد طاقتهم عند هبوب ريح النكبات والمصائب وأن لا تفزعهم الأعاصير، وإلا كان الموت خيراً من حياة تطير نفس صاحبها شعاعاً عندما تحل به المعضلات وتزحمه الكوارث وليس له من نفسه مرشد أو هادٍ:

والموت خيرٌ للفتى من حياته
إذا لم يثب للأمر إلا بقائد
فعالج جسيمات الأمور ولا تكن
هبيت الفؤاد همه للوسائد

كفى حاجة الأضياف حتى يريحها
عن الحي منا كل أروع ماجد
تراه بتفريج الأمور ولفها
لما نال من معروفها غير زاهد
وليس أخونا عند شر يخافه
ولا عند خير إن رجاه بواحد
إذا قيلَ من للمعضلات أجابه
عظام اللهى منا طوال السواعد(١)

وهو لا يقبل الحياة مازجها الذل والهوان مهما تكن المغريات، فهي في حلقه غصص وشجى وحنظل.

لا تسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلك كجهنم
وجهنم بالعز أطيب منزل(٢)

وهو ككل فارس كَميت يحب الخيل ويتألفها ويرى أنها مانعة الأجناد وعدة الطراد:

---

(١) الأمالي، لأبي علي القالي، ج٢، ص١٦٥؛ الديوان، ص٥٠.
(٢) الفتوة عند العرب، عمر الدسوقي ص ٤٣٤؛ شعراء النصرانية، ج ١، ص ٨٢٥.

ويـمـنـعـنـا مـن كـل ثـغـر نـخـافـه
أقـب كـسـرحـان الإبـادة ضـامـر
وكـل سـبـوح فـي الـعـنـان كـأنـهـا
إذا اغـتـسـلـت بـالـمـاء فـتـخـاء كـاسـر[1]

ثم هو لا يغادر ساحة المعركة حتى يرى الخيل وقد تسربلت بالدماء وعثرت بالأشلاء وأجفلها النجيع واحتز هو رأس زعيم العدو.

حـتـى رأيـتُ الـدُهـم بـعـد سـوادهـا
حـمـرَ الـجـلـودِ خـضـبـن مـن جـرحـاهـا
يـعـثـرن فـي نـقـع الـنـجـيـع جـوافـلا
ويـطـأن مـن حـمـى الـوغـى صـرعـاهـا
فـرجـعـت مـحـمـوداً بـرأس عـظـيـمـهـا
وتـركـتـهـا جـزراً لـمـن نـاواهـا[2]

كما يصور أيضاً حصانه في المعركة هذه الصورة التشبيهية الرائعة:

يـدعـون عـنـتـر والـرمـاح كـأنـهـا
أشـطـان بـئـر فـي لـبـان الأدهـم

---

(١) بلوغ الأرب، ج٢؛ ص٧٨ المطبعة الرحمانية.
(٢) الديوان، ص ١٨٥.

مـا زلـت أرمـيـهـم بـغـرة نـحـره
ولـبـانـه حـتـى تـسـربـل بـالـدم[1]

وها هو يتصور نفسه أنه هو الموت بعينه لأنه هو الذي يسقيه للأعداء.

وأنـا الـمـنـيـة في الـمـواطـن كـلـهـا
والـطـعـن مـنـي سـابـق الآجـال[2]

وإنه ليكسب الحرب ويصول ويجول في ميدان الطعان ولكنه يترك لغيره كل ما كسبه غنيمة باردة فهو لا يهتم إلا باصطياد الأنفس فكأنه سهم المنية أو المنية ذاتها:

إذا الـتـقـيـت الأعـادي يـوم مـعـركـة
تـركـت جـمـعـهـمـو الـمـغـرور يـنـتـهـب
لـي الـنـفـوس ولـلـطـيـر الـلـحـوم ولـلـ
وحش الـعـظـام ولـلـخـيـالـة الـسـلـب[3]

وعفافه عن المغانم معروف دائماً يخبر به من شهد وقائعه:

(١) لباب الآداب، ص ٤٦٩ ـ واللبان: الصور.
(٢) الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ج ١، ص ١٤٨.
(٣) شعراء النصرانية، ج ١ ص ٨١٩.

يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ولم يوهن عزيمته ما شهد ويشهد من ممارسة الحرب والطعان ولكن ما أثر فيه إنما هو تقادم الزمن وكبر السن وهجوم المشيب:

فما أوهى مراس الحرب ركني
ولكن ما تقادم من زماني

وهو إذا سخر عنف في سخريته وترك خصمه أضحوكة الناس، وإذا استمعت إليه هاجياً عمارة بن زياد الذي كان ينفس على عنترة منزلته العظيمة ويحسده على مكانته البارزة، أدركت طرافة القول في تجسيم مظاهر الخوف في هذا النموذج البشري المرتعد.

أحولي تنفض استك مذرويها
لتقتلني فهأنذا عمارا
متى ما تلقني فردين ترجف
روانف إليتيك وتستطارا[1]

وعنترة ليس بالسفيه الطائش فإنه ليعرف مساوىء

(١) المذروان: طرفا الإليتين. الروانف أسفل الإلية.

الحرب ويقدر مصائبها وويلاتها وها هو يرى بثاقب نظره ان حرب داحس والغبراء ستجر على قومه مصائب كثيرة لم تكن لها مبرراتها ويظهر ذلك واضحاً في رثائه لصديقه النابه:

فلله عينا من رأى مثل مالكٍ
عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا قيد غلوة
وليتهما لم يرسلا لرهان
لقد جلبا حيناً وحرباً عظيمة
تبيد سراة القوم من غطفان

وفوائد عنترة في هذا المجال وفيرة وليس ما نهدف إليه الاستقراء والاستقصاء ولكنه التدليل والتمثيل.

ح ـ بطولته وبعض أخباره:

تنحصر فلسفة المجد عند عنترة في مظاهر القوة والبطولة والفتك بالأعداء وإيرادهم موارد الهلكة والفناء، وهي فلسفة ليست بالغريبة على فارس مثل عنترة بل إنها لتستمد أصولها من بيئته، هذه البيئة التي لا يُسأل فيها الضارب لماذا ضربت، ولكن يُقال للباكي لماذا بكيت، يلقى القويُ الضعيفَ فيخلفه في أهله وأمواله وحلاله، إنها شريعة غاب، القوي فيها يأكل الضعيف، ولهذا كان من الطبيعي أن يظل المرء فيها متأهّباً للقتال:

دعــونــي فــي القــتــال أمــت عــزيــزاً
فــمــوت الــعــز خــيــر مــن حــيــاتــي

لــعــمــري مــا الــفــخــار بــكــســب مــالٍ
ولا يــدعــى الــغــنــيّ مــن الــســراة

وقد احتل عنترة مكانه فارساً لقبيلة عبس على ما فيها من عديد الفرسان وانجاد الفتيان ولكنها عرفته فأحلته مكان القيادة في حربها ونزالها.

قال عمر بن الخطاب للحطيئة العبسي كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألف فارس حازم قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زهير فينا، وكان حازماً فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل إذا حمل ونحجم إذا أحجم، وكان فينا الربيع بن زياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره، ولا نخالفه، وكان فينا عروة بن الورد فكنا نأتم بشعره فكنا كما وصفت لك، فقال عمر: صدقت[1].

ويعد عبد الملك بن مروان عنترة واحداً من أربعة هم في رأيه أشجع شجعان العرب وهم عباس بن مرداس السلمي وقيس بن الخطيم وعنترة ورجل من مزنية وذلك لقول عنترة:

---

(١) الأغاني، ج ٨ ص ٢٤٤.

إذ يـتَّـقـون بـي الأسـنـة لـم أخـم
عـنـهـا ولـكـنـي تـضـايـق مـقـدمـي[1]

ومن مظاهر بأسه وقوة بلاغته وبيانه أن بني عبس غزت يوماً بني تميم، وكان عليهم قيس بن زهير، فانهزمت عبس وطلبتها تميم، فلم يكن من عنترة إلا أن وقف لهم يذود عنهم غارة الثائرين، ولحقتهم الخيل وثبت عنترة لهم ثبات البطل الصنديد فلم يُصَبْ مدبرٌ منهم حتى استنقذهم من كبوتهم، وكان قيس بن زهير سيد عبس فهاله ذلك الموقف وساءه ولعل ذلك كان في مقتبل أمر عنترة فقال حين رجع والله ما حمى الناس إلا ابن السوداء، وكان قيس أكولاً، فبلغ عنترة ما قاله، فقال يعرض به في قصيدته:

طـال الـثـواء عـلـى رسـوم الـمـنـزل
بـيـن الـلـكـيـك وبـيـن ذات الـحـرمـل[2]

يقول منها:

... والـخـيـل تـعـلـم والـفـوارس أنـنـي
فـرقـت جـمـعـهـم بـضـربـة فـيـصـل

(١) نهاية الأرب في أخبار العرب ليعقوب بن ابيكاريوس الأرمني ص ٢٠٦ - دار الطباعة. وأخم: أجبن.
(٢) شعراء النصرانية، ج ١ ص ٧٩٥.

إذ لا أبادر في المضيق فوارسي
أو لا أوكل بالرعيل الأول
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا
أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل
حين النزول يكون غاية مثلنا
ويفرّ كل مضلل مستوهل
والخيل ساهمة الوجوه كأنما
تسقي فوارسها نقيع الحنظل
ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل
وإذا حملت على الكريهة لم أقل
بعد الكريهة ليتني لم أفعل(١)

وقد استخون قيس وكل الذين حسدوا عنترة عند سماعهم هذا الشعر العبقري وشعروا بنكرانهم فضل عنترة وحقوقه عليهم، فخففوا من غلوائهم وكفكفوا من كبريائهم.

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي ـ وهو من الفرسان المشهود لهم ـ: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حُرَّاها وهجيناها، يعني بالحرين عامر بن الطفيل

(١) الأغاني، ج ٨ ص ٢٤١؛ الديوان، ص ١١٨/ ١٢٠.

وعُتيبة بن الحارث بن شهاب، وبالهجينين عنترة والسليك بن السلكة[1].

ولم يكفِ عنترة ما ناله من كريم النسب بعدما استلحق بأبيه بل أراد أن ينال التشريف إخوةً له من أمه، وكان أحبهم إليه أخاه «حنبلا» وأراد أن يلحقهم بقومه فدبر لذلك أمراً؛ إذ أوعز إلى أخيه «حنبل» أن يروي مهراً له من اللبن ثم يمر به عليه عشاءً مع إخوته فإذا قال لهم عنترة: ما شأن مهركم متخدداً مهزولاً ضامراً، ضرب «حنبل» بطن المهر بالسيف علامة الغضب والسخط مما يقول له أخوه، وحين نفذ حنبل خطته هذه سأله عنترة وكان في جمع من القوم: ما شأن مهركم متخدداً أعجر من اللبن؟ فلم يكن من حنبل إلا أن أهوى بالسيف على بطن المهر فضربه فظهر اللبن فقال عنترة:

أبني زبيبة ما لمهركم
متخدِّداً وبطونكم عُجْر
ألكم بإيغال الوليد على
إثر الشياه بشدة خُبر

عندها استلحق القوم حنبلا واخوته بهم، وإن لم يرضَ آخرون بذلك، وإن لم يضرّ ذلك عنترة[2].

---

(١) الأغاني، ج ٨ ص ٢٤٦.
(٢) الأغاني، ج ٨، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

وقد خاض عنترة أشد المعارك وأعظمها هولاً، وغزا عشرات الغزوات مع قومه كيف لا وهو صاحب حربهم وقائد جيشهم ومضرب المثل في جميع أحياء العرب بإقدامه وجرأته.

وتجلت فروسيته ومهارته في الحرب والطراد أكثر ما تجلت في معارك «داحس والغبراء» وما جرَّته هذه الحرب من أيام هولٍ وفزعٍ سالت فيها الدماء أنهاراً بين عبيس وذبيان. والتي كان أولها المراء والكلام كما هي عادة الحروب منذ بدء الخليقة حتى عصرنا الحاضر، الذي هو الآن مسرح لأعنف حرب باردة تُشن على أعصاب الشعوب وتعبث بآمالها ورغباتها، وأخشى ما يخشاه دعاة السلام أن يعقبها اشتعال نار حرب عصرية ثالثة لا تبقي ولا تذر، تستعمل فيها أفظع وسائل الفتك والدمار، وأحدث ما أنتجه العقل البشري من مخترعات الإبادة والفناء.

حرب داحس والغبراء:

ومفادها، أن قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار إلى المدينة ليتجهز لقتال بني عامر والأخذ بثأر أبيه! فأتى رجِل يُدعى أُحيحة بن الجلاح يشتري منه درعاً موصُوفة تسمى «ذات الحواشي» فاشتراها منه وقد وهبه الرجل أيضاً أدارعاً

وعاد إلى قومه وقد فرغ من جهازه، فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه قيس إلى مساعدته على الأخذ بثأره فأجابه إلى ذلك ولكنه طمع بالدرع فأخذها لنفسه ومنعها قيساً، وسيّر الربيع إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلأ وأمر أهله فظعنوا،وبلغ الخبر قيساً فسار في أهله وإخوته فعارض ظعائعن الربيع وأخذ زمام أمه وزمام زوجته، فقالت له أم الربيع: ما تريد يا قيس؟ فقال أذهب بكن إلى مكة فأبيعكن بها بسبب درعي فقالت: هي في ضماني وخلّ عنا، ففعل. ولكن الربيع حلف ألا يردّ الدرع، فأغار قيس على نعم الربيع فاستاق منها أربعمائة بعير وسار بها إلى مكة، فباعها واشترى بها خيلاً فكان فيما اشترى من الخيل داحس والغبراء، وقيل إن داحساً والغبراء كانا من خيل بني يربوع واستباهما قيس، وقيل إن قيساً أنزى داحساً على فرس له فجاءت بمهرة فسماها الغبراء، ثم إن قيساً أقام بمكة، ثم رحل عنها ونزل ببني بدر فنزل بحذيفة وأخيه حمل بن بدر، وأقام فيهم وكان معه أفراس له ولإخوته فحسده حذيفة عليها وكتم ذلك في نفسه.

وغضب الربيع من نزول قيس وإخوته في بني بدر وأرسل يتوعدهم بأبيات من الشعر. ثم إن حذيفة كره قيساً وأراد إخراجه فلم يجد حجة لذلك سوى مسألة الرهان، وعزم قيس على العمرة فقال لأصحابه إياكم أن تلابسوا حذيفة بشيء واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع فإني قد عرفت الشر في

وجهه وليس يقدر على حاجته منكم إلا أن تراهنوه على الخيل، ثم إن فتى من عبس يقال له ورد بن مالك العبسي أتى حذيفة فجلس إليه ولم يلبثا أن تراهنا على فرس من خيل قيس وفرس من خيل حذيفة، وبلغ الخبر قيساً الذي عمل على فك الرهان فلم يفلح، وقال قيس: علام تراهنني؟ قال حذيفة على فرسيك داحس والغبراء وفرسيّ الخطار والحنفاء. وفي يوم السباق أقام حذيفة رجلاً من بني أسد في الطريق وأمره أن يلقى داحساً فيرمي به إلى أسفل الوادي، فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون إليه فلما هبط داحس في الوادي عارضه الأسدي فلطم وجهه فألقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل، وأما راكب الغبراء فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ وعاد إلى الطريق واجتمع مع فرسيّ حذيفة ثم سقطت الحنفاء وبقيت الغبراء والخطار، ثم إن الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار ثم الحنفاء وهم فرسا حذيفة، وجاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله، فأخبر الغلام قيساً بما صُنع بفرسه، فأنكر حذيفة ذلك وادّعى السبق ظلماً، ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا إلى القوم الذين حبسوا داحساً واختلفوا فيما بينهم. ثم إن الأسدي ندم على حبس داحس فجاء إلى قيس واعترف بما صنع، فسبه حذيفة، وتناكر قيس وحذيفة في السبق حتى همّا بالمؤاخذة، فمنعم الناس، ولجَّ حذيفة في طلب السباق، وأرسل ابنه إلى

قيس يطالبه به فلما أبلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه إلى أبيه، ونادى قيس يا بني عبس الرحيل فرحلوا كلهم، وعلم حذيفة أن ولده قتل، فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلاً فنزل إليه وقبل بين عينيه ودفنوه.

وكان مالك بن زهير أخو قيس متزوجاً من فزارة وهو نازل فيهم فأرسل إليه قيس إني قد قتلت بدر بن حذيفة فالحق بنا وإلا قُتلت. فقال مالك إنما ذنب قيس عليه ولم يرحل، ثم إن بني بدر قتلوا مالكاً فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم، وأرسل الربيع إلى قيس عيناً يتسقط له أخباره فسمعه يقول شعراً مؤثراً يعاتب به الربيع ويحثه على مساعدته بأخذ ثأر أخيه، فرجع الرجل إلى الربيع وحكى له ما كان من أمر قيس، فبكى الربيع على مالك ورثاه بقصيدة طويلة تظهر مقدار حزنه عليه، فلما سمعها قيس ركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل إليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقي القوم بعضهم بعضاً، وأنشدهم عنترة بن شداد مرثيته في مالك ـ وكان صديقه ـ التي يقول فيها:

فلله عينا من رأى مثل مالك
عقيرة قوم إن جرى فرسان

فليتهما لم يجريا نصف غلوة
وليتهما لم يجمعا لرهان
وكنا لدى الهيجاء نحمي نساءنا
ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى إن كنت بعدك باقياً
وأمكنني دهري وطول زماني
فأقسم حقاً لو بقيتُ لنظرة
لقرّت بها العينان حين تراني

وبلغ حذيفة أن الربيع وقيساً اتفقا عليه، فأغارت فزارة على بني عبس فأصابوا نعماً ورجالاً، فحميت عبس واجتمعت للغارة والتقوا على ماء يقال له العذق، وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت فزارة وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر. ثم بعد ذلك اجتمعت غطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا، وجاء سنان بن أبي حارثة المريُّ فقبح رأي حذيفة في الصلح، وأخذ يحثه على الحرب، فأغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتجدد القتال واستمر، وكان عدد من قُتل في موقعة «جفر الهباءة» وحدها من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على أربعمائة قتيل، كما قتل من عبس ما يزيد على عشرين.

وفي معركة «ذات الجراجر» سارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس واقتتلوا قتالاً شديداً وظهرت في هذه الأيام شجاعة عنترة بن شداد، وبعد ذلك رحل قيس وبنو عبس إلى بني شيبان بن بكر وجاوروهم ثم رحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم عبس فانهزمت شيبان، ونزلوا بماء يقال له «عرعر» عليه حي من كلب فركبوا ليقاتلوا بني عبس فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز إليه واسمه مسعود بن مصاد فاقتتلا حتى سقطا إلى الأرض، وثار به الربيع فقطع رأسه، وانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم، وضربت عبس بعد ذلك في بطون الأرض تهيم على وجهها فساروا إلى اليمامة وحالفوا أهلها من بني حنيفة ثم ساروا عنهم إلى بني ضبة الذين استعانوا بهم على حرب تميم فأعانوهم، ثم تغيرت ضبة وانقلبت على عبس فحاربتهم عبس وظفرت بهم وغنمت وسارت إلى بني عامر وحالفوا الأحوص بن جعفر بن كلاب على حرب بني تميم ثم إن ذبيان غزت بني عامر وفيهم بنو عبس فهزمت عامر وأسر قرواس بن هني العبسي فسلموه إلى حصن بن حذيفة فقتله، ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً وتكاثرت عليهم تيم وقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب والقتال، وقلت فيهم الرجال والأموال وهلكت المواشي.

هذه صورة مصغرة ومختصرة للحرب المشهورة بحرب داحس والغبراء والتي يستشف منها كيف كانت حال عبس قبيلة عنترة من الشماس والإباء فهي قبيلة تأنف الضيم ولا سيما من ذوي القربى. ثم كيف استنزفت هذه الحرب دماءها وقواها واستهدفت زهرة شبابها وخيرة فتيانها، ولقد ظلت هذه الحرب طيلة أربعين عاماً تنخر في شباب الفريقين وشيوخهم نخر السوس وتصطلم أخضرهم ويابسهم، إلى أن مَلَّ الفريقان القتال فحلَّ بينهما السلم أخيراً محل الحرب وذاقت نفوسهم برد الوئام بعد الويل والخصام، والمرجح أن الحارث بن عوف وهرم بن سنان هما اللذان سعيا للصلح واطفاء الحريق بين عبس وذبيان وتحملا ديات القتلى بين الفريقين.

ولقد استنفدت هذه الحرب أعظم جهود فتانا عنترة وكانت البوتقة التي انصهرت فيها مزاياه من الشجاعة في القتال والصبر على مُرّ الكفاح في سبيل نصرة مبادىء قومه ورفع شأن قبيلته. فكان بحق كما قال عنه الدكتور فيليب حتي: أخيل عصر البطولة العربي تشبيهاً له ببطل اليونان الشهير الذي سجلت أمجاده إلياذة هوميروس شاعر بلاد الإغريق الخالد.

دفاعه عن لونه:

ولد عنترة أسود البشرة، وكانت أُمُّه أَمَة حبشية اختارها أبوه. وقد دافع عنترة عن لونه أحر دفاع، وأشاد بما هو عليه من

سجايا نبيلة وخلائق فاضلة تقوّض ما يتوهمونه من نقص بل ما يريدون إلصاقه به من معائب، فهو يدافع عن لونه دفاعاً محبّباً إلى النفوس، ويلصق بشخصه كل الصفات والمزايا التي تنمّ عن فعال غُرٍّ وأيدٍ بيض وترفع عن الدنايا حين يقول:

وإن أكُ أسوداً فالمسك لوني
وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعدُ الفحشاء عنيّ
كبعد الأرض عن جوّ السماء[1]

وهل نسي من يعيره من قومه بسواد لونه، سود فعاله هو ودُكن خصاله وخبث طواياه، حقاً إنه لقول معتَدٍ أثيم لا يقصد من قوله هذا إلا الإثارة والإيذاء.

يعيبون لوني بالسواد وإنما
فعالهم بالخبث أسود من جلدي[2]

وأما عنترة فإن يكن لونه أسود، وإنما خصاله فبيض نقية تشف عن طهر قلبه ونقاء جوهره وصفاء سريرته:

(١) شعراء النصرانية، ج ١ ص ٨١٦؛ الديوان، ص ٧.
(٢) المرجع نفسه، ج ١ ص ٨٣٢.

تعيرني العدا بسواد جلدي
وبيض خصائلي تمحو السوادا
سلي يا عبل قومك عن فعالي
ومن حضر الوقيعة والطرادا[1]

لقد قصرت همم الأعداء عن همته فهم وإن آذوه في لونه وأسم أمه؛ ولكنه إمعاناً منه في كيدهم سيمضي في طريقه إلى نيل كل مجد وحيازة كل تشريف، وليصنعن العجائب وليقرعنّ بلاغة الفصحاء ويخرسهم بفصاحته وحسن بيانه.

ما ساءني لوني ولا اسم زبيبة
إذ قصّرت عن همتي أعدائي
فلئن بقيت لأصنعنَّ عجائباً
ولأبكمنَّ بلاغة الفصحاء[2]

حقاً لقد كان عنترة عند حسن وعده لقد فعل من العجائب ما ليس عليه من مزيد مما جعل لاسمه دوياً ملأ الدنيا وشغل الناس. وليس عنترة الوحيد بين العرب الذي كان يتصف بسواد بشرته، فهنال العشرات غيره من أغربة العرب الذين جاءهم سواد اللون من قِبل أمهاتهم، منهم خفاف بن

(١) المرجع نفسه، ج ١ ص ٨٢٩.
(٢) الديوان، ص ٧.

ندبة، وأبو عمير بن الحباب، والسُليك بن السُلكة، وهشام بن عقبة بن أبي معيط.

ومن الإسلاميين عبد الله بن خازم، وعمير بن أبي عمير، وهمام بن مطرف، ومنتشر بن وهب، ومطر بن أوفى، وتأبط شراً، والشّنفرى، وبلال مؤذن الرسول على أن عنترة إذا كان ضيق الصدر في مبدأ أمره بمن يلاحيه في سواد لونه، فإنه قد اطمأن آخر الأمر إلى مكانته رغم آناف الحساد وقد كبّت مقالة هؤلاء الخصوم هاتفاً:

لئن يعيبوا سوادي فهو لي نسبٌ
يوم النزال إذا ما فاتني النسب[1]

وهذا كما يبدو منتهى الاعتزاز بلونه، ومنتهى الشعور بالثقة في نفسه. وإن كانت أُمُه أَمة فمن يثبت للطعان ويبرز على الأقران كابن الأمة، وإنه ليُفاخر بها رغم سوادها مغيظاً بذلك أعداءه ومبغضيه، بل إنه ليجد في صفاتها ميزات تقدَّر لا عيوباً تُستكره، ومن قوله:

يقوّمه فتى من خير عبس
أبوه وأمه من آل حام

(١) الديوان، ص ١٠.

ويقول أيضاً:

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها
ضبع ترعرع في رسوم المنزل
الساق منها مثل ساق نعامة
والشعر منها مثل حب الفلفل
والثغر من تحت اللثام كأنه
برق تلألأ في الظلام المسدل

المرأة في حياته:

لقد ذاق عنترة من الغرام أعنفه، فقد أحب أعظم الحب وأشده إبنة عمه «عبلة» بنت مالك، وكانت من أجمل نساء قومها وأبعدهم صيتاً في اكتمال العقل ونضارة الصبا وشرف المحتد، ولكن عنترة لم يكن منعّماً في حبه لتظهر آثار هذه النعمة على شعره، بل كان شقياً تعيساً يطمع في عبلة من غير طائل فيصده والدها وأخوها عمرو، ويقال إنه كان من أقسى ما يضايق هذا الحب صلف أبيها وكبرياء أخيها، وما كانا يقذفان به عنترة من النظر الشزر إذ يسمعان نبأ هذا الحب وهما يصيخان إلى أحاديث السمار عنه، ويحاول عنترة استرضاءهما فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، وعلى الرغم من لصوق نسبه بهما كانا

لا يزالان ينظران إليه نظرة المولى إلى العبد، فكان إذا تغزل تألم وشكا، وليس في غزله غير شكوى وآلام.

إن أكثر المصادر العربية قد خرست عن ذكر عبلة إلا في مجال تشبيب عنترة بها وحبه لها، فلم تنوه عما إذا كان قد تزوج بها أم بقِي حبه معلقاً وتزوجت هي سواه كما هو حال جميل وبثينة وكُثير وعزة.

وإن تكن قصة عنترة الشعبية قد أشارت إلى زواج عنترة بعبلة وتمتعه بوصالها، إلا أن هذا القول لا يقدم ولا يؤخر إن لم يدعمه سند قوي من سيرته.

وقد ذهب بعض الباحثين ومنهم الأستاذ عمر الدسوقي في كتابه «الفتوة عند العرب» إلى أن عنترة لم يتزوج عبلة بل تبتل في محراب حبها، وأن أباها وأخاها منعاه زواجها وأبيا عليه مصاهرتهما، وأنها زُوجت أحد أشراف قومها وزفت إليه على الرغم من عنترة[1]. والمعلقة، وهي أثبت شعرٍ له، تؤكد أن والد عبلة كان يتنكر له، ويهرب بإبنته إلى ديار الأعداء ليبعدها عنه، فيشكو الشاعر الفارس عداوة قومها له، ومشقة الوصول إليها، أو يبعث جاريته تتجسس له أخبارها، فتعود إليه لتقول: إنها رأت غفلة من الأعداء تسهل طريق اصطياد الفتاة:

(١) الفتوة، عند العرب، ص ٤٣٤/٤٣٧.

فبعثتُ جاريتي، وقلت لها: اذهبي
وتجسّسي أخبارها لي واعلمي
قالت: رأيتُ منَ الأعادي غِرَّةً
والشَّاةُ مُمكنةٌ لمن هو مُرتمِ
يا شاةُ ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ له،
حَرُمت عليَّ، ولَيْتَها لم تَحْرُمِ!

أو يقول:

حَلَّتْ بأرض الزَّائرين فأصبحتْ
عَسِراً عليَّ طِلابُكِ، ابنةَ مَخرمِ[1]
عُلّقتُها عَرَضاً، وأقتُلُ قَوْمَها
زعماً، لَعَمرُ أبيكِ، ليس بمزْعَمِ[2]

فعبلة إذن في أرض الزائرين، أي الأعداء، وقومها هم الذين ذهبوا بها إليهم، فاضطر عنترة إلى مقاتلة الأعداء ومقاتلة أهلها معاً، فأصبح طلبها عسيراً عليه. كيف يطلبها وهو يقتل قومها؟ إن في ذلك لطمعاً منه في غير مطمع: «زعماً، لعمر أبيكِ، ليس بمزعم» ولماذا أرسل جاريته إلى أرض الأعداء، تتجسس أخبار حبيبته، أليس لكي يأخذها على حين غرة، كما

(١) الزائرين: الأعداء.
(٢) زعماً: طمعاً. مزعم: مطمع.

تخبرنا القصة أنه أخذ بني كندة وهم في حفلة العرس، فقتل فارسهم مسحلاً واستنقذ عبلة منه قبل أن يتزوجها.

ثم تلك الشكوى يرسلها قلبه الجريح: «حَرُمتْ عليَّ وليتها لم تحْرُم» أفما تنطق كفاية بما لقي عنترة العاشق من اليأس والحرمان؟ فعنترة كما هو واضح في المعلقة لم يتزوج عبلة، وإنما يشكو فراقها وجور أهلها عليه. فإذا كانت المعلقة نُظمت دفعة واحدة في زمن واحد، فيكون الشاعر قد بقي طوال حياته محروماً من ابنة عمه، لأنّه ذكر فيها حرب داحس والغبراء، وهذه الحرب انتهت قبل وفاة الشاعر ببضع سنوات. كما له قصيدة أخرى يتبين منها أن عبلة تزوجت رجلاً غيره، يصفه عنترة بأنه بادن كثير اللحم:

فلرُبَّ أبلَجَ مثل بعلك بادنٍ
ضخمٍ على ظهر الجواد، مهبَّلِ
غادرتُهُ متعفّراً أوصالُهُ
والقومُ بين مجرَّحٍ ومُقتَّلِ

وهذه القصيدة معروفة له يثبتها الرواة ولا يدفعونها. وليس في سائر شعره الصحيح ما يدلنا على أنه حظي بابنة عمه كما تقول سيرته الشعبية، وإنما هو يشبب بها ويؤثرها على جميع النساء، وإن لم يقصر غزله عليها:

ولئـن سـألـتَ بـذاكَ عـبـلةَ أخْـبـرتْ
أن لا أُريـدُ مِـنَ الـنـسـاءِ سـواهـا[1]

وإذا كان عنترة صاحب غزو وحرب وكاسب غنائم، فإنه كثيراً ما كان يصيب في غزواته سبايا جميلات من حرائر العرب، والسبية دائماً تعد في الإماء المسترقات. ولكن عنترة كان إذا استبى إحدى الحرائر دفع إليها مهرها وتزوجها وأبى أن يسترقها كما فعل غيره وتلك من الميزات التي سما بها على غيره[2].

كما أنه لم يغتصب أنثى قسراً وإرغاماً بل إنه ليتزوج المرأة برضاء واليها:

ما استمت أنثى نفسها في موطن
حتى أوفي مهرها مولاها

وهو ذو حفاظ وصيانة لأعراض غيره، فإنه ليصل نساء قبيلته بهباته وأياديه صلة أرحام ما دامت بعولتهن معهن ولكنه لا يزورهن في غيبة محارمهن ويربأ بنفسه عن مواطن الشبهات ومظان الريب لأنه حافظ للجوار والحرمات:

(١) أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط ٨، ص ١٧٢/١٧٣.
(٢) الفتوة عند العرب، ص ٤٤٣.

أغشى فتاة الحي عند حليلها
وإذا غزا في الجيش لا أغشاها
وأغض طرفي إن بدت لي جارتي
حتى يواري جارتي مأواها[1]

إنّ عنترة ليكرم المرأة تكريماً ويحفظ لها منزلتها فلا يهدر كرامتها ولا يدوس شرفها ويحطم انسانيتها[2].

على أن عدداً آخر من الدارسين يميلون إلى الرأي القائل بأن عنترة قد تزوج عبلة لعوامل وأسباب منها أنه قد استلحق بنسب أبيه فزالت عند هجنة النسب وأصبح ابن عم لعبله، ثم انه كان أشهر فرسان القبيلة بل فرسان العرب، وفتوته وفروسيته مما لا يغفله من حسابه من يريد زواج عبلة إذ أنه سيتعرض لانتقام عنترة وثأره لكرامته وحبه؛ ثم إن ذلك من الأسباب التي ترغب في مصاهرته. فمهما يكن من تعالي والد عبلة وأخيها فعظم شأن عنترة وبلوغه مبلغ الذروة في قومه وبين أنجاد العرب وأجوادهم، كل ذلك يحفزهما إلى تزويجه بعبلة. وثمة من الأسباب شعر عنترة. فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من ذكر عبلة والتشبيب بمحاسنها، وتذكرها حتى

---

(١) الديوان، ص ١٨٥.

(٢) فارس عبس، حسن عبد الله القرشي، دار المعارف بمصر ط ٢، ص ٦٩/ ٧٠.

في مواقف العراك والاشتباك وهذا الغزل الشائق الموصول في كل حين مما تأباه عليه شيمته العربية وبداوته الأبية لو كانت عبلة قد زُوجت لغيره وألحقت بكنف سواه، فإن من اللازب والواجب عليه حينئذٍ أن يتناسى حبه ما أمكنه التناسي، وأن يقلل إن لم يكف عن التغزل بها في أشعاره حرصاً على كرامة رَجُلِها وعلى شرفها وهي إبنة عمه لصقاً، وما يجرح شعورها وشعور عمه أبيها مما لا يتواءم مع طبيعته وسجاياه في رفع الغبن عن غيره وإنصاف المظلوم من الجور فكيف يظلم إذن ذوي قرابته الأدنين[1].

وشعر عنترة الذي وصل إلينا وأثبته الرواة، لم يقتصر، في غزله، على عبلة وحدها، بل يتناول أحياناً سمية امرأة أبيه، وكان يهواها في صباه وقد ضربه والده من أجلها[2]. ويتناول أيضاً امرأة اسمها رقاش، ولا نعلم عنها شيئاً، فهي نكرة لا تُعرف إلا باسمها. ولكن الرواة يخبروننا بأنه كان لعنترة زوجة من بجيلة، فقد تكون هي رقاش، أو لا تكون.

وسواء تزوج عنترة من عبلة أم لم يتزوج، فإن غزله بها يظل أفضل وأروع غزل قاله لأنه يمثل حرمانه ولوعته وتظلمه، ويبدو فيه أثر العراك العنيف بين حبه وسواد لونه وضعة نسبه،

---

(١) فارس عبس، القرشي، ص ٦٨/٦٩.
(٢) أدباء العرب، ص ١٧٤.

فعبلة لم ترافق الشاعر الفارس في شعره الغزلي وحده بل رافقته في فخره وحماسته وذكر حروبه، فإنما هو يفتخر ويغامر من أجلها. وإذا لم يكن لديه من جمال الصورة وكرم المحتد ما يشفع به إليها، أفلا يسعى لإرضائها بوصف شجاعته وجوده وعفته، وذكر وقائعه ومشاهده، حتى إذا ذُكر لها في مجلس تستطيع أن ترفع رأسها به علياً. فبمثل هذا الشعر يبدع عنترة، لأنه يصور نفسيته أبلغ تصوير، ويعطينا طرازاً فاخراً من غزل الفرسان، حيث تجتمع ألفاظ الحب والغزل بألفاظ الحرب وجعجعة السلاح، فنراه يعرض معاركه على آسرة قلبه لتشهد مواقفه في مبارزة الأبطال أو مزاحفة الجيوش. ويصف لها الفارس الذي يبارزه، فإذا هو بطل تتحاماه الأبطال خشية لقائه، وكريم وطيب محتده من أولئك البيض الأحرار الذين يفاخرونه بأصلهم ونسبهم فيظهر بذلك فضله في التغلب عليه. ويصف معاركه، فإذا هي ملاحم تتشابك فيها الأبطال شاكية هولها، وبنو عبس يتقون به رماح الأعداء فما يرتد عنها، وإن ضاقت عليه فسحة الاقدام. وها هو يود تقبيل الأسنة وسط المعمعة لأن لمعانها ذكره ببارق ثغر حبيبته عبلة، بينما الأعداء تلهج باسمه مشرعة رماحها إلى صدره، فإذا هو ركن المعركة وقوامها وحجر رحاها وثفالها. وفي المعلقة وصف ملحمي جميل لهذه المعارك التي يعرضها أمام عبلة صوراً سريعة تبدو فيها بطولته بارزة الخطوط والألوان، ويبدو فيها كفاحه، على قوته، بين حد

الحب والحرب صورة لمأساته الغرامية التي مثلتها القصة الشعبية على مسرحها، واغفلها الرواة والمؤرخون.

نهايته:

لقد انتهت حياة عنترة الحافلة بعد أن بلغ من العمر التسعين عاماً تقريباً فقد كانت منحصرة بين سنتي ٥٢٥ و ٦١٥ ميلادية[١]، وذكر صاحب الأعلام أن وفاته كانت في عام ٦٠٠ الميلادي وهو ما يوازي العام الثاني والعشرين قبل الهجرة. ومهما تكن الروايات الواردة في تاريخ وفاته، فلعله قد متع بعمر طويل يستدل على ذلك بالحروب والغزوات التي ساهم في وقائعها، كما يستند إلى ما أثر من شعره، ومنه قوله:

فما أوهى مراس الحرب ركني
ولكن ما تقادم من زماني

وقد قال ابن حبيب وابن الكلبي وذكر صاحب الأغاني أن عنترة أغار على بني نبهان من طيء فطرد لهم طريدة وهو شيخ هرم كبير فجعل يرتجز وهو يطردها ويقول:

---

(١) تاريخ العرب، د. فيليب حتي مطول ج ١ ص ١٢١. تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٨. ص ٦.

حظ بـنـي نـبـهـان مـنـهـا الأثـلب
كـأنـمـا آثـارهـا لا تـحـجـب
آثـار ظلمان بقـاع مجدب[1]

فهو يقول: ان حظ بني نبهان من هذه الطريدة التراب والحجارة، كناية عن الخيبة وكأن آثار أقدامها وأنا اطردها أمامي بارزة للعيان كأنها آثار أقدام ذكور النعام في أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والآكام.

وكان وزر بن جابر النبهاني في فتوة فرماه وقال خذها وأنا ابن سلمى فقطع مطاه ـ ظهره ـ ولكن عنترة تحامل بالرمية حتى أتى أهله فقال وهو مجروح:

وإن ابـن سـلـمـى عـنـده فـاعـلـمـوا دمـي
وهـيـهـات لا يـرجـى ابن سـلـمـى ولا دمـي
إذا مـا تـمـشـى بـيـن أجـبـال طـيء
مـكـان الـثـريَّـا لـيس بـالـمُـتَـهَـضَّـم[2]
رمـانـي ولـم يـدهش بـأزرق لـهـذم
عـشـيـة حـلوا بـيـن نـعـفٍ ومـخـرِم

(١) فارس بني عبس، ص ٧١.
(٢) المُتَهضم: الذليل المغصوب. يقول: هو يمشي في جبال طيء غير ذليل ولا يُغصب مكانه فكأنه في الثريا. كناية عن مكانته ومنعته.

وقال ابن الكلبي وكان الذي قتله يُلقب بالأسد الرهيص. أي الثابت في مكانه، والرهيص هو الحائط المبني.

وذكر أبو عمرو الشيباني: «أنه غزا طيئاً مع قومه، فانهزمت عبس، فخرّ عنترة عن فرسه، ولم يقدر من الكبر أن يعود فيركب، فدخل دغلاً[1] - شجر كثير ملتف - وأبصره ربيئة طيء - طليعة الجيش، الذي يقف في مكان عال لمراقبة الأعداء - فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أسيراً، فرماه وقتله».

وقال أبو عبيدة: «انه كان قد أسنَّ واحتاج، وعجز بكبر سنه عن الغارات. وكان له على رجل من غطفان بعير، فخرج يتقاضاه إياه، فهاجت عليه ريح من صيف وهو بين شَرْجٍ وناظِرة - ماءان لبني عبس - فأصابته وقتلته».

على أن الرواية المتداولة والتي هي أقرب إلى المرجح من الروايات، أن عنترة قد مات مقتولاً إثر رمية السهم الذي رماه به الأسد الرهيص، فإنه لم يستطع أن يتحامى الرمية من السهم المراش الغادر الذي سدد إلى ظهره نظراً لكبر سنه وكلال بصره.

والقصاص الشعبي اختار هو الآخر ميتة لعنترة لا نستطيع التغافل عنها أو اهمالها لما فيها من فنٍ وسحرِ خيالٍ بارع، والتي تتلخص في أن عنترة البطل حينما أصيب بالسهم المسموم الذي ريَّشه إليه الأسد الرهيص، أحس أنه ميت لا

محالة، وحينئذٍ اتخذ خطة الليث المناضل حتى بعد مماته فقد ظل ممتطياً صهوة جواده مرتكزاً على رمحه السمهري يجود بأنفاسه الأخيرة، ثم أمر الجيش الذي كان معه بأن يتراجع القهقرى وينجو من بأس الأعداء، وظل في وقفته تلك حامياً ظهر الجيش والعدو يبصر الجيش الهارب، ولكنه لا يستطيع اللحاق به خوفاً من قائده البطل واستبساله في الذود عنه ووقوفه بمفرده دونه، ولهيبة الفارس المحارب، حتى نجا الجيش وأسلم عنترة الروح، ولكنه بقي في مكانه متكئاً على الرمح وظل جواده ثابتاً، فلما طال وقوفه وجاوز الحد المألوف ارتاب العدو في الأمر وشك في مصير البطل فأطلق إلى الجواد فرساً لتهيجه وحين بصر بها الجواد شب براكبه فخر الفارس على الأرض بعدما ثأر لنفسه بإضاعة فرصة النصر على عدوه وحمايته قومه من بين براثنه.

وهكذا انتهت حياة عنترة. انتهت حياة أشهر فارس في الجاهلية، وأحذق من ضرب بالسيف وطعن بالرمح وقاد الكتائب في عصره وخاض غمار الحروب مظفراً منصوراً.

قصة عنترة الشعبية

تُعد رواية عنتـرة المتداولـة أعظم الـروايات العـربية وأطولها. بكثرة ما حشد فيها من حوادث، وما صوَّر في ثناياها من وقائع وأحداث وما بث في صفحاتها من أشعار، منها ما أُثر عن عنترة فعلاً وأكثرها ملفق مصنوع تظهر فيه الركاكة ويفشو الافتعال، وقد اقتضاه سياق القصة وسردها ليس غير!

وقد نالت هذه الرواية المشهورة حظوة واسعة في أوساط عامة الناس وجماهيرهم فهي محور أسمار الكثيرين يشغفون بما حفلت به من مواقف الفروسية والطعن والطراد، وبما تبثه من ضرام العواطف ونزعات الوجدان، وما تعرض له من صور الفخار وأنباء الحروب والغزوات التي وإن يكن لبعضها سند من الواقع وركاز من الحقائق فإن أكثرها موضوع واضح الاختراع للترويح عن النفوس وإشباع بعض النزعات، وملءِ الفراغ الزمني عندما لا تجد ما تقضي به أوقات الفراغ طوائف العامة وبعض طبقات الشعب.

ويُقال إن قصة عنتـرة وضعت في عهد العـزيز بـالله الفاطمي وخلافته بين عامي ٣٦٥ و٣٨٦ هـ على أثـر ريبة

حدثت في دار العزيز تلاقفتها الألسن ولهجت بها الناس في المنازل والأسواق. فساء ذلك العزيز وأوعز إلى الشيخ يوسف بن إسماعيل شيخ القصاص على الإطلاق في عهده أن يشغل الناس بما عسى أن يصرفهم من شائق القصص عما حدث من ريبة في قصره.

وكان الشيخ يوسف واسع الرواية عظيم الدراية بأخبار العرب وأيامهم وحروبهم ووقائعهم كثير النوادر والأحاديث، وكان ممن رووا عن أبي عبيدة ونجد بن هشام وجهينة اليماني الملقب بجهينة الأخبار وغيرهم من الرواة؛ فأخذ يكتب قصة عنترة ويوزعها على الناس فأعجبوا بها إعجاباً شديداً وأخذوا بما أبرزها فيه من رونق جذّاب وتسلسل خلاب للحوادث، وقد قسمها سبعين كتاباً وحرص على أن يشغف القارىء حباً بمطالعة الكتاب الذي يلي ما قرأه، إذ يوقفه عند معظّم الأمر الذي يشتاق القارىء للوقوف على تمامه والوصول إلى خبره مجتزئاً الكلام عند ذلك الحد فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه، وهكذا دواليك.

وقد حاول الشيخ يوسف أن يثبت في هذه الكتب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها، ولكن كثرة تداولها وتعدد نسخها أفسد روايتها وجعلها عرضة للمسخ والتشويه وتحوير الشعر وتحريفه، كما شجع على اصطناع بعض ما بث فيها من أشعار لم تروَ عن عنترة ولا عن الذين نسبت إليهم، وإنما

أضيفت إلى القصة من خيالات النسَّاخ ورغبتهم في التزيد والتظرّف والحصول على رضاء العامة وتملّق رغباتهم.

كما أن الشيخ يوسف نسب هذه القصة إلى الأصمعي تعظيماً لشأنها. وقيل أيضاً إن واضع هذه القصة هو الشاعر الطبيب أبو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري وممن قال بهذا الرأي الأستاذ كوسين برشيغال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس، وقد ذكر ذلك في المجلة الآسيوية سنة ١٨٣٣ وسنة ١٨٤١م.

وتعد قصة عنترة ملحمة حماسية من ملاحم العرب، وقد بُنيت في معظمها على حادثة داحس والغبراء التي استعرت لظى الحرب فيها بين قبيلتي عبس وذبيان، ثم كانت محوراً لقصة «عنترة» فذكرت فيها رجولته وبطولته وفصاحته وكرمه ونجدته وعفته وحبه وإباؤه ثم ما تبع ذلك من عادات وتقاليد عربية خالصة، وهي في نظر الاستاذ أحمد حسن الزيات إلياذة العرب بما تضمنته من جاذبية الأحداث وطلاوة العرض، على أن من عيوبها ـ في نظره ـ كملحمة، ركاكة الأسلوب وبناؤها على حروب أهلية شبت بين شعب واحد(١)، ومن الحوادث البارزة فيها وصف مقتل عنترة، وقد كان الشاعر الفرنسي الشهير «لامرتين» معجباً به إعجاباً كبيراً.

---

(١) أصول الأدب، للزيات، ص ٤٩/ ٢٤١/ ٢٤٢.

وقصة عنترة رغم ما فيها من حشو وتلفيق ومبالغات في الخبر والوصف، ورغم اقتحامها النسائيات، تعد أثراً هاماً من آثار ثقافة العرب، واسفاراً حفل بها الناس في كل مكان، كما عدها الفرنجة من بدائع آداب العرب، فترجموها إلى الألمانية والفرنسية[1]، كما أن فيها من مظاهر البطولة والشهامة وأحاديث العزة والكرامة ما يحببها إلى كل فئات الشعب. وقد طبعت عدة طبعات في القاهرة وبيروت، كما مثلت في مسارح الشرق والغرب وظهرت على الشاشة البيضاء بمصر في فيلمين هما «عنتر وعبلة» و «مغامرات عنتر وعبلة» ويحرص قارئو قصة عنترة على إلقائها بأسلوب خطابي وأداء تمثيلي يحركون بهما عواطف الجماهير ويستثيرون مشاعرهم ويفتنون في ذلك كثيراً[2].

وقد أورد إسكندر أغا ابيكاريوس في كتابه «منية النفس في أشعار عنتر عبس» قصة قد تتكرر في كل بيئة تُقرأ فيها قصة عنترة وهي إن دلت على شيء إنما تدل على مبلغ شغف العامة بسيرة عنترة:

«بلغنا عن رجل من أهل حمص كان يحضر كل ليلة إلى حلقة القصاص يسمع فصلاً من قصة عنترة، ففي إحدى

(١) الأعلام، للزركلي ج٢، ص ٧٤٤.
(٢) فارس بني عبس، القرشي، ص ٧٨.

الليالي تأخر في حانوتة إلى ما بعد المغرب، فحضر إلى هناك بدون عشاء وكان في تلك الليلة سياق حرب عنترة مع كسرى فقرأ القصاص إلى أن وقع عنترة في الأسر عند الفُرْس فحبسوه ووضعوا القيد في رجله، وهناك قطع الكلام وانفضت الناس، فدخل على الرجل أمر عظيم واسودّت الدنيا في عينيه وذهب إلى بيته حزيناً كئيباً فقدمت له زوجته الطعام فرفس المائدة برجله فتكسرت الصحون وانصب ما فيها على فرش البيت وشتم المرأة شتماً قبيحاً فصادمته في الكلام فضربها ضرباً شديداً وخرج يدور في الأسواق وهو لا يقر له قرار، ثم غلب عليه الحال فذهب إلى بيت القصاص فوجده نائماً فأيقظه وقال له قد وضعت الرجل في السجن مقيّداً وأتيت مستريح البال فأرجوك أن تكمل لي هذا السياق إلى أن تخرجه من السجن فإنني لا أقدر أن أنام ولا يطيب عيشي ما دام على هذا الحال وانظر ما تجمعه من الجمهور في ليلتك فأنا أعطيك إياه الآن، فأخذ القصاص الكتاب وقرأ له باقي السياق إلى أن أخرج عنترة من السجن فقال له: أقر الله عينيك وأراح بالك! الآن طابت نفسي وزالت همومي، فخذ هذه الدراهم ولك الفضل. ثم انصرف إلى بيته مسروراً وطلب الطعام، واعتذر بأن القصاص وضع له القيد في رجل عنترة، وهي جاءته بالطعام ليأكل فكيف يمكنه أن يذوق طعاماً وعنترة محبوس مقيد؟ وقال: وأما الآن فقد ذهبتُ إلى بيت القصاص وقرأ لي الحديث إلى أن أخرجه

من السجن والحمد لله فقد طابت نفسي فآتـي بما عندك من الطعام واعذريني عما فرط مني».

وقد برزت قصة عنترة في الجيل الذين ألف فيه كثير من كتب الأسمار والخرافات، وقد أحصى ابن النديم الكتب التي ألفت في الأسمار الخرافيـة بالعـربية فبلغت زهـاء ثمانين، وضعف ذلك أو يزيد ما ترجم عن الفارسية والهندية واليونانية وما روي عن ملوك بابل وذلك حتى سنة ٣٧٧ هـ[1].

وقد عُني بهذه القصة بعض المعاصرين، ولعل من أبرزهم الأستاذ محمد فريد أبو حديد الذي حاول أن يظهرها من جديد في ثوب شائق خلاب ورونق عصري حديث، فاقتبس من حوادثها متصرفاً فألف منها كتابه «أبا الفوارس» ثم كتابه الثاني الذي اختصره عن الأول «عنترة بن شداد» كما استوحى القصة الاستاذ محمود تيمور في مسرحيته «حواء الخالدة».

وإن كان النثر قد احتفى بعنترة وخلده، وحفل بذكـر بطولاته ومغامراته، ووعى أشعاره وأخباره سواء في القصص الشعبي أو في أمهات كتب الأدب، وخوالد السير وأيام العرب، فإن الشعر كذلك قد احتفى أيما احتفـاء بفارس بني عبس

(١) الفهرست، ابن النديم، ص٤٢٢/ ٢٣، /٤٢٤/ ٤٢٥/ ٤٢٦/ ٤٢٧/ ٤٢٨.

وشاعرها المحلق، فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يهدي العربية إحدى نفائسه الغرّ وروائعه الكبرى مسرحية «عنترة» الشعرية التي يقدم فيها لوناً شائقاً من ألوان القصص الشعري الساحر الذي اشتهر به شوقي، مشيداً بمناقب فارس بني عبس الزائد عن حماها، ومصوِّراً قصة غرامه أبرع تصوير وأشجاه.

وقد عنيت السينما كذلك برواية عنترة فأخرجت منذ بضعة عشر عاماً هذه القصة في شريط سينمائي بعنوان «عنتر وعبلة» كما أخرج منها شريط آخر عنوانه «مغامرات عنتر وعبلة». كما ألف شكري غانم (روايه تمثيلية) عن عنترة عربها إلياس أبو شبكة ونشرت في بيروت، كما نشرت ترجمة لها بقلم إلياس غالي ومراجعة صالح الأشتر[1].

---

(١) فارس بني عبس، القرشي، ص ٨٠.

المضمون الشعبي لرواية عنترة

تحكي رواية عنتر الشعبيـة مولـد طفل في بني عبس لشداد بن قراد من أَمَة سوداء لبني جديلة كانت ترعى قطيعاً من الإبل يقدر بألف ناقة، فخرج عليها عشرة فرسان عبسيين، فساقوا القطيع والأمة وولديها؛ ولحق بهم أبطال بني جديلة لتخليص النوق والسبية، ودارت معركة بين الغزاة والنجدة، أسفرت عن انتصار فرسان بني عبس واحتفاظهم بالغنيمة.

وكان المألوف عند العرب في الجاهلية أن تكون السبية مشـاعاً بين الغـزاة يطؤنهـا كلهم، غير أن هـذ الأمـة التي استسلمت لشداد باعتباره المالك لها ولولديها قد أبت على غيره من الغزاة أن ينال منها ما ناله شداد، مما هو خليق بكرائم النساء، فيعجب شداد بتصـرفها، ويعتبـرها من نصيبـه في الغنيمة، ويطلب من رفاقه عدم التعرض لها.

وجاء عنترة نتيجة هذا اللقاء بين شداد وزبيبة، فولد لأب ساميٍّ عربي أصيل، ولأم حاميّة حبشية كريمة، ولكنـه جاء مختلفاً عن بقية الأطفال في ضخامـة خلقته وعبـوس وجهه

وتفلفل شعره وكبر شدقيه وصلابة عظامه وشدة منكبيه، وشبه خلقته لخلقة أبيه شداد.

ويدرج المولود طفلاً، وينمو صبياً قوي التكوين، قد ورث عن أبيه السامي العربي الشجاعة والصلابة وقوة الجسم، وورث عن أمه الحبشية ما عرف عن الحاميين من الجلد وقوة الاحتمال وسعة الحيلة والمراوغة وحسن التبصر؛ فيستطيع في يفاعه أن يقتل ذئباً يأتي برأسه، كما يستطيع «شيبوب» أخوه لأمه أن يمسك ثعلباً يجيء به بين الخرفان، الأمر الذي أثار إعجاب شداد فأوصى أمهما بهما وخص عنترة بتوصيته، ثم يمضيَ الزمن بعنترة فيبدو شهماً مدافعاً عن الضعفاء حامياً للنساء ويتصدى لداجي أحد عبيد «شاس بن الملك زهير» لمنعه النساء من ورود الماء قبل أن يصدر أتباع سيده «شاس» فيلطم العبدُ الضخمُ الكبيرُ عنترةَ الصبي الصغير لطمة تغيبه عن الصواب، ثم يفيق عنترة فيهجم على العبد ويقتله بيده، وتتجمع عليه العبيد فيفرقهم بعصاً خطفها من أحدهم، ويشاهد الأمير مالك بن زهير هذا المنظر فيعجب بعنترة، ويخلصه من العبيد ويجيره لقتله «داجي».

ثم لا يلبث عنترة أن يقتل أحد عبيد «الربيع بن زياد» الذي يعتبر من أبرز رجالات قبيلة عبس ومستشاري الملك، لأنه دس عليه عند أبيه فضربه وشد وثاقه، فلما تخلص عنترة من قيده، بحث عن العبد وقتله، وقصد مالك بن زهير فأجاره

مرة أخرى، وبهذا الحادث يظهر العداء بين عنترة والربيع، ويخشى العبيد بأس عنترة، وتزداد مكانته عند الأمير مالك بن زهير.

ثم يبدو لشداد وإخوته أعمام عنترة أن يتخلصوا منه خشية فوران الفتن بين أفراد القبيلة فيطلعوا عليه في الصحراء فيجدونه يتصارع مع أسد فيظنون أن الأسد سيكفيهم مؤونة قتله، ولكن عنترة يرمي بسيفه ويصارع الأسدَ أعزل فيصرعه، ويسلخه ويشوي لحمه ويأكله وأبوه وأعمامه يتفرجون، فيقول عمه «زخمة الجواد»: «والله من يكون له مثل هذا ويفرط فيه فلا يكون عاقلاً»!.

وبعد حين يهاجم فرسان من غطفان ديار بني عبس، بينما شداد وإخوته ورجال الحي خارج الديار في إحدى غزواتهم، وليس فيها غير النساء يحرسهم العبيد ومنهم عنترة الصبي الذي لمْ يكن يتجاوز الأربعة عشر عاماً، فيتصدى للمعتدين ويقاتلهم ويهزمهم ويسترد الأسلاب وينقذ النساء.

وتشير الرواية إلى العقد التي أقلقت نفس عنترة وشغلت باله بسبب الأوضاع الاجتماعية السائدة في جزيرة العرب في الجاهلية، نتيجة العرف المؤدي إلى التفرقة العنصرية، فالمجتمع العربي لا يعترف بأولاد الإماء أحراراً، ولو كانوا من صلب أكرم العرب أصالة وقدراً؛ ومن هنا نشأت في نفس عنترة

عقدة النسب وولد عنترة أسود اللون ضخم الجثة كبير الشدقين مفلفل الشعر، والسواد سمة للعبيد يوحي باحتقار شأنهم، فترعرعت في نفسه أيضاً عقدة اللون.

ولم يكن العرف يسمح لأولاد الإماء بممارسة الأعمال التي يمارسها الأبناء المعمون المخولون، بل كانوا يستخدمون في رعي الإبل وخدمة النساء والأعمال الوضيعة، فنمت في نفسه عقدة العبودية كذلك.

ويحب عنترة عبلة ابنة عمه «مالك»، ويفري الحب قلبه، ولكنه يتكتم أمر هذا الحب إلى حين، فقد كان العبيد محرومين كذلك من الاتصال بكريمات النساء والحرائر منهن، بل كان لا يملك ذلك الحق إلا السادة البيض المنسبين فحسب، وكان عنترة شديد الوله في حب ابنة عمه «عبلة» بينما كانت كل هذه القيود تمنعه من الزواج بها، فأصيب بعقدة المجتمع.

فهل يستسلم عنترة لواقعه المؤلم؟ وهل يرضخ لحكم مجتمعه الظالم؟ وهل ينهزم أمام هذه العقد النفسية العديدة التي أورثه إياها المجتمع ليعيش على هامش الحياة؟.. فما الذي عمله عنترة إذاً للتخلص من هذه القيود. وما الذي صنعه لحل تلك العقد، وما الذي فعله لصعود تلك الذرا حتى أصبح حديثاً يروى وقصة تحكى وأسطورة تقرأ وملحمة يتغنى بها؟

لم يجد سبيلاً أمامه غير سبيل النضال والكفاح، يثبت بهما أهميته ويعبر بهما عن شخصيته الخلاّقة وما تضمنته من ضروب العزة والشهامة والقدرة الفائقة على مقارعة الخطوب والخصوم.

ولما كانت عبس من أشد قبائل العرب المحاربة والغنية، بأموالها ومواشيها، كانت دائماً مطمعاً للغزاة، ولذلك فإن الغارات عليها كانت تتوالى وتتابع لا سيما في غيبة رجالها المنشغلين بالغزو فيجد عنترة في غيبة الفرسان فرصة لاستعراض شجاعته وهمته، فنراه يردّ في كل مرة المعتدين والمغيرين ويكبدهم فوق ذلك الخسائر الفادحة ويوقع بهم أشد وقيعة.. وكانت انتصاراته هذه تكسبه احترام القبيلة نساءً ورجالاً، ولكنها في الوقت ذاته تؤرث في نفوس البعض حسداً له وبغضاً، كالأمير شاس الذي كان عنترة قد قتل له أحد عبيده، وكذلك الربيع بن زياد وأخيه عمارة الذي كان ينافسه في حب عبلة والرغبة في زواجها.

على أن هذه الانتصارات المبدئية لم تستطع أن تجعل أباه شداداً يجتاز الحرج ليستلحقه بنسبه، كما أن عبلة رغم حبها له ترى أن عنترة إن لم يلحق بنسب أبيه فإن من غير الطبيعي أن ينالها.

وحين يطلب عنترة من أبيه في إحدى المرات أن

يستلحقه بنسبه نجد الأب ينفعل غاضباً على عنترة ثم يطرده فيهيم على وجهه فيلتقي بأحد الفرسان الصعاليك. وهو عياض بن ناشب وجماعته، فيغزو معهم ولكنهم يحاولون أن يبخسوه حقه في الغنيمة لأن نصيب العبد عادة غير نصيب الحر، حيث إنه لا يكسب غير ربع سهم، وهم إنما يحاولون تكريمه بإعطائه النصف، فيأبي فيقبلون بإعطائه حصة كاملة على مضض منهم ويكلفونه بسوق الغنيمة احتقاراً له فيسير بها وهو غضبان وهناك يلتقي بالحارث اليشكري الذي يركب حصاناً مشهوراً هو «الأبجر» وتتم مساومة بينهما على أن يسترد الحارث أسرى بني قحطان وأموالهم وعوضاً عن ذلك يأخذ عنترة «الأبجر»؛ وعندما يلتقي بعياض وجماعته وقد أُفلتت الغنيمة يهاجمونه فيصمد لهم فيخافونه ويلاينونه... وتتكرر الأحداث بعد ذلك وتأخذ مجرىً واحداً هو أن بني عبس يقعون دائماً في مآزق حرجة ولا ينقذهم منها سوى عنترة.

ويتنافس عنترة وعمارة على الزواج من عبلة، ولكن عبودية عنترة تجعله دائماً في الموقف المخذول أمام عمارة، حتى إن أبا عبلة يلطم عنترة مرة حينما اعترض طريق عمارة وتتفاقم الفتنة في القبيلة حتى يتدخل فيها الملك زهير فيخلع عنترة ثياب الفرسان ويعود لرعي الغنم.

ثم تخرج القبيلة في غزوة تاركة بعض الفرسان لحماية

الحي، فيهـاجمهم عدد كبير من الفرسان ولا يجدون خلاصاً إلا في نصرة عنترة لهم، ولكنـه يأبى أن يترك مكانه إلا بعد أن يستلحقه أبوه بنسبه، فيجاب إلى ما طلب ويشهد الناس على أنه من ولد شداد، فيسرع إلى كشف الغمة عنهم ويوافق عمه مالك في حمى القتال على زواجه من عبلة. . ولكن العم يلجأ فيما بعد إلى الحيلة ويطلب ألفاً من النوق العصافير - مهراً لإبنته - وهي لا توجد إلا عند الملك النعمان، ويذهب عنترة إلى الملك النعمان ثم إلى بلاط كسرى، وتجري بينه وبين الآخرين معارك ينتصر فيها ويعود بالنوق. وأثناء عودته يقابل عبلة وسط الصحراء وهي تبكي لأن فارساً من بني كنانة أسر أباها وأخاها وطلب منهما زواجه بها مقابل إطلاق سراحهما، وعندما كانا يحملانها إليه خرج إليه عبد من بني الريان فقتل الكناني وأسر مالكاً وابنه وطمع بها فيخلصهما عنترة، ولكن المناوئين له يرفضون حقه في ابنة عمه. ويخرج عنترة من ديار بني عبس غاضباً مقرراً ألا يعود، ويفرح بنو عبس لهذه الهجرة ويستعد مالك لزفاف ابنته من عمارة يؤيده الأمير شاس الذي يقع في الأسر في إحدى الغزوات، ويخلصه عنترة ويعود به إلى بني عبس ويكون عوناً له على عمه مالك ليزوجه عبلة، ولكنه يطلب من عنترة أن يأتيه بفارسة مشهورة تدعى «الجيداء ابنة زاهر» لتقود ناقة عبلة عند الزفاف ويأسر عنترة الجيداء. . وبعد فترة تقع عبلة في أسر «بسطام» فارس بني شيبان، فيأسره عنترة

ويسير به إلى دياره لتخليص عبلة ولكنه يجد أن بني شيبان وقعوا في أسر فارس جبار فيتحالف مع بسطام ويخلصون عبلة وأخت بسطام من أسره..

وتزداد شهرة عنترة، ولكن عمه يبقى مصراً على رفضه الزواج من ابنته، ويحاول الربيع وعمارة قتل عبلة بعد أن عجزا عن قتل عنترة، ويستأجران عبداً من بني فزارة لهذا الغرض، وتدور المعارك بين بني عبس وبني فزارة، ويأسر عنترة الربيع وعمارة ويحملهما إلى الملك زهير، ولكن الفتنة تقع في بطون بني عبس ويتفرقون بينما يرسل الملك النعمان أخاه الملك الأسود لقتل عنترة، إلا أن عنترة يقضي على جيشه ويأسره، ويثبت عجز النعمان فيعزله كسرى ويولي مكانه أخاه الملك الأسود، ثم تجتمع جيوش العجم وجيوش العراق بقيادة الملك الأسود لمهاجمة عنترة وتصبح المعركة بين العرب والعجم، وينضم إلى عنترة فرسان العرب أمثال دريد بن الصمة وينتصر العرب ويعود النعمان إلى ملكه... وبعد أن يموت الملك زهير يتولى مكانه ابنه قيس الذي تربطه صلة النسب بالربيع وبني زياد، وبعد أن يقتل بنو فزارة الأمير مالك بن زهير يقضي عليهم بنو عبس وتستقر الأمور لفترة وتبدأ القبيلة تستعد لزفاف عبلة على عنترة، ويتم الزواج بعد هذا النضال الطويل!

ويبدأ عنترة أولى رحلاته بعد الزواج ليعيد إلى صديقه الفارس مقري الوحش حبيبته مسكية من بلاد الشام، وما إن

يعود من رحلته تلك حتى يجد ديار بني عبس خالية، فقد علم النعمان بهلاك بني فزارة فأرسل جيشه ليقضي على بني عبس، أما قيس وقبيلته فقد هربوا إلى الجبال ولحقهم عنترة، وأخذ النعمان يؤلب القبائل المجاورة على بني عبس، ويستمر هؤلاء في هروبهم من وجهه إلى أن يجاوروا قبيلة بني سعد، وكان لهم فارس مشهور هو معاوية بن النزال الذي يحاول اختطاف عبلة فتقع المعارك وتنتصر بني عبس وتستمر في الزحف حتى تصل إلى نهاية بلاد اليمن، وعندما تتحد ملوك اليمن وتتآزر لحرب بني عبس يصل الملك «عمرو بن هند» أخو النعمان في جيش كبير وقد جاء ليرد غربة بني عبس بعد أن استطاعت المتجردة زوجة النعمان إقناعه ويعود الجميع.

ويتعرض لهم الفارس الجبار ذو الخمار، ولكنه ينهزم ويتلوه عدد من الفرسان يبارزهم عنترة وتنتهي المبارزة بالصلح أو انتصار عنترة، ويرسل الحارث بن الوهاب ملك الشام جيشاً ليقتص من عنترة الذي قتل ابنه، فيجتمع بنو عبس وبنو غطفان وتبدأ المعارك بين العرب والنصارى، ويتمكن جيش النصارى من أسر فرسان بني عبس بما فيهم عنترة ولكنهم ينتصرون بحيلة من ملكهم قيس.

ويتفق ذو الخمار مع فارسة تدعى غمرة للقضاء على فرسان بني عبس وتلتقي بعنترة ويستمر القتال بينهما طوال الليل والنهار الذي يليه وأخيراً يتمكن عنترة من أسرها . . .

ويحاول كسرى السير بنفسه إلى بلاد العرب للقضاء على فرسانهم الأقيال، ويقع عنترة وعبلة في الأسر وينقلان إلى عاصمة كسرى، وهناك تستحوذ عبلة على عقل «اردشير بن كسرى» فيظل يحتال عليها إلى أن تقتله، إلا أن الملك قباز - أخا أردشير - يحميها من الانتقام طمعاً في ملك أبيه ويطلق سراح عنترة ورجاله وتنتهي المعركة بين الفرس والعرب.

ويدس الربيع عند عبلة، فتجمع صويحباتها في ليلة ويسكرن عنترة حتى يفقد صوابه، عندئذٍ تحاول عبلة إظهار دالتها عليه فتطلب منه أن يقبل قدمها أمام الجميع فيغضب ويترك الديار مع أخيه شيبوب. . . وبعد تجوال يلتقي بنادبات بني عبس يندبن أسر ولديه «ميسرة وغضوب» اللذين هاجمهما ذو الخمار مع صديقه جبار بن صخر الإسرائيلي وأسراهما، ويلتقي عنترة بيهودي يعده بتخليص أبنائه ولكنه يغدر به بالإتفاق مع قائد حصن خيبر ويقع عنترة في الأسر. . ثم يتمكن من الخلاص بواسطة ولده غصوب ويقاتل عنترة اليهودي وذا الخمار فيهرب ذو الخمار ولكنه يقع في الأسر ويقتل صاحبه اليهودي! ويلتقي عنترة بالفارس ربيعة بن مكدَّم ويكسر سيف ربيعة ولكن عنترة يعطيه سيفاً آخر فيتفقان على الصلح ثم يقتل ربيعة عدوّ من فارس يدعى نبيشة، ولكن عنترة يأخذ بثأره ويقتل نبيشة على قبره.

ويقع عداء بين أبناء عنترة والفارس عبد هياف الذي

يستنجد بملك الهند فيرسل جنوده نحو الجزيرة العربية، ويجتمع العرب لقتالهم وتدور المعارك ويقع عنترة جريحاً ويأخذه العرب ويعالجونه، ثم يظهر مرة أخرى ويقتل ملك الهند. ويصل بعد ذلك جيش من الحبشة، وتدور معارك تنتهي بقتل قائدهم ويتبعهم عنترة إلى الحبشة والسودان ثم يعود ليجد أن المستوعر بن ربيعة البارقي قد أنزل قصيدته من مكانها في الكعبة وهي التي كانت قد علقت في حفل مشهود فيذهب إليه ويقتله، ويعيد القصيدة إلى مكانها في حفل كبير دعى إليه جميع قبائل العرب.

وعندما يقتل ابنه الغضبان على يد بعض فرسان الجان، يعيش عنترة في بيت خاص أسماه «بيت الأحزان» حيث يقصده الأصدقاء معزين في ولده..

ويعلم عنترة أن فارساً اسمه وَزَر بن جابر ويلقب بالأسد الرهيص، هزم جميع الفرسان وسبى أختِ عمرو بن معد يكرب وتزوجها، وجعل من كبش له رسولاً عند القبائل يدفعون له الجزية... ويقوم عنترة بأسره مع قومه ولكنه يطلق سراح زوجته إكراماً لأخيها الذي يتواسط عند صديقه عنترة فيطلق سراح زوجها أيضاً، ولكن وَزَراً يسير وفي قلبه حقد أسود وينتهز فرصة خروج عنترة في إحدى غزواته فيهجم على ديار عبس ويأسر فرسانهم، ولكن عنترة يعود فيأسر الأسد الرهيص ويطلقه مرة أخرى إكراماً لعمرو، ولكنه يحاول تجميع القبائل

المعادية من جديد ويشهر حرباً ثالثة وفي المعركة يأسره عنترة للمرة الثالثة ويكحل عينيه برمح محمى ويطلق سراحه!

ويغدر بنو فزارة بغصوب بن عنترة ويقتلونه، ويتعقبهم عنترة ويأسر منهم عدداً ينحرهم على قبر ابنه، غير أن بعضاً منهم يلجؤون إلى الملك الأسود الذي يطلب من الملك قيس بن زهير إرسال عنترة إليه، ويحاول قيس أن يدبر مؤامرة لأسر عنترة، ولكنه يكشف أمرها فيقتل المتآمرين ويرحل عن عبس مغضباً، ويسير إلى الملك الأسود للانتقام منه فيسرع هذا باستدعاء ذي الخمار، وتدور معركة رهيبة يأسر فيها عنترة ذا الخمار ثم يتصالح معه ويهزمان معاً جيش الملك الأسود.

وتحل بعنترة كارثة بفقد أخيه مازن وصديقه «عروة بن الورد» فينتقم لهما ويلزم «بيت الأحزان» من جديد. . ويكون لذلك أثره على القبيلة، فيقل مالـهـا فيخرج عنترة مع بعض الفرسان في غزوة ويأخذون عروساً من بني طيء كانت تزف إلى فارس من بني كندة، ويخشى الملك قيس أن تجتمع عليه القبيلتان، فيطلب من عنترة إعادة العروس والأسلاب ولكن عنترة يرفض ذلك، ثم يقرر عنترة الرحيل نهائياً ويسير قاصداً «دمشق» عند الحارث بن وهاب، ويبلغ قيصراً ما يفعله عنترة فيستدعيه إليه ويحارب معه أعداءه ثم يعود عنترة بعد ذلك إلى بلاده، ويحاول الربيع وعمارة تدبير مكيدة جديدة للإيقاع به،

إلا أنه ينجو منها بفضل صديقه «عمرو ذو الكلب» فيقتلهما ويهول هذا الأمر عبساً فيهجرهم عنترة ويذهب إلى بلاد الروم ليقاتل بعض أعداء قيصر، وفي طريق عودته يكمن له عدوه العتيد الأسد الرهيص عند أحد الغدران ويصوب إليه سهماً مسموماً يصيبه في خصيته، ويكون ذلك سبباً في وفاة عنترة بعد تلك الحياة المديدة الحافلة!

وبانهيار هذا الطور الشامخ، وتحطم هذا الصرح المنيف، ينهار معه ويتحطم كيان أسرته، فهذه زوجته عبلة التي انتصحت بنصيحته تتزوج «عامر بن الطفيل» الذي يحاول أن يحسن معاشرتها، ولكنها تكيده وتغيظه وتذكره كل حين بالفارق الكبير بينه وبين عنترة، إلا أن «عامر بن الطفيل» لم يطق صبراً على هذا الهوان من زوجته فقتلها، حتى إذا جاء أخوها وأبوها يسائلانه ويتطلبان الثأر ألحقهما بها. . .

وكما تداعت أركان اسرته، فإن التضعضع انتاب قبيلة عبس بدورها، فقد ألب عليها بنو فزارة القبائل حتى فني معظمها وتاه عظيمها ومليكها «قيس بن زهير» في غمار صحراء الجزيرة طريداً حائراً هائماً في بيداء غير ذات حدود.

تلك قطوف بتراء معجلة، مما تضمنته رواية عنترة الشعبية، التي لم ينسَ كاتبها أن يضمنها أشعاراً كثيرة منسوبة إلى عنترة.

عنترة الشاعر

أغراضه وأساليبه الشعرية:

رأينا عند كلامنا عن الشعر الجاهلي القيود التي تفرضها مدرسة هذا الشعر من وقوف على الأطلال، والتحرق للقيا الحبيبة، ووصف النوق والإبل والظباء والجياد والسلاح والحماسة البالغة للنسب والنفس والقبيلة والحكم المتراكمة، مصوغاً كل ذلك في قالب من التعبير يندر أن يتحرر من التداخل.

كما كانت الألفاظ الصعبة من مشخصات الأسلوب الجاهلي، حيث كان الخروج عنها ومغادرتها إلى مأنوس اللفظ ومفهوم التعبير ـ آنذاك ـ مما يدل على نقص في عربية القائل ومقدرته في قوة الصوغ ومتانة السبك.

وقد حرص الشاعر الجاهلي على أن يسلك في القصيدة ـ التي غالباً ما تكون ملحمة مطولة ـ اشتاتاً من الأفكار المتفرقة التي لا رابط بينها ولا انسجام.

ولكن مما لا ريب فيه أن عنترة قد تحرر كثيراً من قيود هذه المدرسة، ولم يخلص لها كل الاخلاص، إذ اتسم أكثر

شعره بالرقة والوضوح مع بلاغة التعبير وجودة الأسلوب فلم يأخذ مأخذ الشعر الجاهلي الصميم في ضخامة الألفاظ وخشونة المعاني ووعورة الوصف إلا في أفانين قليلة، وإذا كان ذلك يؤثر له كمحمدة ومأثرة الآن فإنه ربما عرضه لموجدة بعض النقاد الأقدمين ومؤاخذتهم.

وقد عني عنترة بكافة أغراض الشعر العربي وأفانينه المعروفة في زمانه **كالفخر والحماسة والهجاء والرثاء والغزل والوصف والحنين والحكم** وما إلى هذا من أفانين القول، فكان فيها سباقاً رشيق التعبير بارع التصوير طريف المعاني

على أن ملكة عنترة الشعرية لم تترعرع وتزدهر إلا حينما تخلص من ربقة العبودية وذل الرق، حيث لم يروَ عنه في حال رقه من الشعر جيد أو رديء[1].

ولكنه حينما نال حريته وملك أمر نفسه وشعر بمكانته وشخصيته جاشت نفسه بالشعر وتدفق به جزلاً عبقرياً يفيض عذوبة ورقة، ولا سيما حين عمر قلبه بحب ابنة عمه عبلة وجاش فؤاده هياماً بها وغراماً، فقد أتى من ثمة بالمعجب المطرب العميق من سحر المعاني ودقتها وأناقتها.

ويقال ان من الأسباب التي حفزت عنترة على قول

(١) تاريخ الأدب العربي، للزيات ص ٤٨.

الشعر، أن رجلاً من بني عبس سابه وشاتمه فذكر سواده وسواد أمه وإخوته وعيره بذلك وبأنه لا يقول الشعر، فقال له عنترة: «والله إن الناس ليترافدون بالطعمة فما حضرت مرفد الناس أنت ولا أبوك ولا جدك قط، وإن الناس ليدعون في الغارات فيعرفون بتسويمهم فما رأيناك في خيل مغيرة في أول الناس قط، وإن اللبس «الإختلاط بالأمور» ليكون بيننا فما حضرت أنت ولا أبوك ولا جدك خطة فيصل، وإنما أنت فقع نبت بقرقر[1]. وإني لأحتضر البأس وأوفي المغنم وأعف عن المسألة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصّمّاء (الصعبة)، وأما الشعر فستعلم». فكان أول ما قال قصيدة:

هل غادر الشعراء من متردم....

وهي أجود شعره وكانوا يسمونها المذهبة[2]

نظمها عنترة دفاعاً عن شاعريته وتأييداً لفصاحته وأنه قد قطع بها خصمه ونقض حكمه.

الفخر والحماسة في شعره:

اتفق مؤرخو الأدب أن يجعلوا الفخر والحماسة باباً

---

(١) في المثل يُقال: أذل من فقع بقرقر، والفقع الرخو من الكمأة وهو أردؤها لأن الدواب تنجله بأرجلها.

(٢) «الشعر والشعراء»، لابن قتيبة ج١ ص ٢٠٥/٢٠٦/ وكانت المعلقات تسمى أيضاً المذهبات.

واحداً لما بينهما من الاتصال الوثيق، لأن الحماسة ليست سوى فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه، ووصف فرسه وسلاحه.

وباب الفخر في الجاهلية، وإن اتسع إلى موضوعات غير الفروسية كالنسب والسيادة والكرم والأخلاق والأهل والولد والفصاحة، إلّا أنه لا يخرج بالنتيجة عن المباهاة بالشجاعة والإقدام، فلا فخر بدون حماسة، وكذلك الحماسة هي الفخر بعينه.

كما يحسن بالفروسية أن يرافقها شرف المحتد ومكارم الأخلاق، حتى إن المضعوفين في نسبهم يدافعون عنه أنبل دفاع، كما دافع شاعرنا عنترة عن سواده وعن نسبه لأمه «زبيبة»[1].

إنـي امـرؤ مـن خـيـر عبسٍ مـنـصـبـاً
شـطري وأحمي سـائـري بـالـمنصـل[2]

فهو من خير عبس منصباً من جهة أبيه شداد، ولكنه يحمي نصفه الآخر من جهة أمه بالسيف.

---

(١) انظر: بطرس البستاني، أدباء العرب، ص ٤٦.
(٢) الديوان، ص ١١٨ ـ ١٢٠.

وإذا الـكـتـيـبـة أحـجـمـت وتـلاحـظت

ألـفـيـت خـيـراً مـن مـعـم مـخـول[1]

حتى إذا الكتيبة ترددت وأحجمت عن دخول المعركة، وجدتَ عنترة لا يحجم ولا يتردد وهذا ما يغنيه عن الانتساب إلى كرام الآباء والأمهات.

وشعر عنترة مليء بذكر الحرب ومسمياتها حتى قال فيه الأصمعي: «ذهب أمية بن أبي الصلت في شعره بعامة الآخرة، وعنترة بعامة الحرب»[2].

كما جاء في العمدة لابن رشيق: «حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة قال: «كفاك من الشعراء أربعة، زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب»[3].

ولا غرابة في ذلك فإن عنترة فارس شاعر صاحب حرب وقتال وطعن ونزال. فها هو يخاطب محبوبته «عبلة» بلغة الفارس الواثق من نفسه وقدرته على البطش بالأعداء قائلاً:

إن تـغـدفي دونـي الـقـنـاع فـإنـنـي

طـب بـأخـذ الـفـارس الـمـسـتـلـئـم[4]

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) بلوغ الأرب، ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) العمدة: ابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ج١، ص ٧٨.

(٤) تغدفي: ترخي قناعك على وجهك دوني. طب: خبير. المستلئم: الفارس يلبس عدة الحرب «اللأمة».

أثني عليَّ بما علمتِ فإنني
سهل مخالطتي إذا لم أُظلم
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم(١)

ومما يدل على صدق شجاعته وفروسيته، وكان قد خرج على قومه غضبان، فنزل على بني عامر، وأقام فيهم زماناً، فأغارت هوازن وجشم على ديار عبس، وكان على هوازن يومئذٍ دريد بن الصمة، فأرسل قيس بن زهير، وكان يومها سيد عبس، يستنجد عنترة، فأبى وامتنع، ولما عظم الخطب على بني عبس، خرجت إليه جماعة من نساء القبيلة من جملتهن(٣) الجمانة بنت قيس، فلما قدمن عليه، طلبن منه أن ينهض معهن لمقاومة العدو، وإلاَّ انقطعت العشيرة وتشتت شملها، فاحتمس ونهض من وقته طالباً ديار قومه، وهو يقول(٢):

سكتُّ فغرَّ أعدائي السكوتُ
وظنُّوني لأهلي قد نسيتُ
... وإن دارت بهم خيلُ الأعادي
ونادوني، أجبت متى دُعيتُ

(١) باسل: كريه. العلقم: نبات شديد المرارة.
(٢) انظر الديوان، فوزي عطوي، دار المعرفة، ص ٧٨.

بسيفٍ حَدُّهُ يُزْجي المنايا
ورُمحٍ صَدرُه الحتفُ المميتُ[١]
خُلِقت من الحديد أشدُّ قلباً
وقد بَلي الحديدُ وما بليتُ
وإني قد شربتُ دَمَ الأعادي
بأقحافِ الرُّؤوس وما رويتُ[٢]
وفي الحرب العوانِ وُلِدُت طفلاً
ومن لبن المعامع قد سقيتُ[٧]
فما للرمح في جسمي نصيبٌ
ولا للسيف في أعضايَ قوتُ
ولي بيتٌ عَلا فلكَ الثُريا
تخرُّ لعُظمِ هيبته البُيوتُ

وفيها نستشف النفس الملحمي عند عنترة، لقد خلق من الحديد لا بل أشد قلباً، وقد بَلي الحديد ولكن فارسنا باقٍ على حاله من القوة والعظمة، وها هو يشرب دم الأعادي لا بالكؤوس

(١) يزجي: يسوق ويدفع. وفي رواية «موج».
(٢) الأقحاف: جمع قحف، بالكسر، وهو العظم فوق الدماغ، وما انفلق من الجمجمة فبان.
(٣) حرب عوان: قوتل فيها مرة بعد مرة، وإذا كانت كذلك كانت أشد عراكاً.

ولكن بأقحاف الرؤوس والجماجم ولكنه مع هذا لا يرتوي ولا يشبع .

ولولا من اشتهر عن عنترة من ضروب الفروسية والبسالة لطمرت ذكره الأجيال ولطغى على بريق اسمه تقادم القرون وكر الأزمان. فهو يجندل الفوارس حيث يترك الفرائص مصفرة ترتعد مما يلاقيه عدوه من شدة وبأس وما يعانيه من قسوة ومرارة :

وخليل غانية تركتُ مجدَّلاً
تمكو فريصته كشدق الأعلم[1]
سبقت يداي له بمارن طعنة
ورشاش نافذة كلون العندم[2]

وشعر عنترة يشتمل على جميع الفضائل الجاهلية، وأخصها فضيلة الشجاعة والفروسية حيث ينصرف الشاعر إلى ذكر حروبه مبالغاً في وصف البطل الذي يبارزه ويسطو عليه :

ومُدجج كره الكماةُ نِزَالَه
لا ممعنٍ هرباً ولا مستسلمِ

---

(١) تمكو: تصفر، الفريصة الذي يرتعد من الدابة أو الانسان هنيهة الخوف.
(٢) العندم: صباغ أحمر اللون.

جادت يداي له بعاجل طعنةٍ
بمثقفٍ صدق الكعوب مقومِ [1]

وفضيلة الحفاظ على العرض والشرف.

فإذا شربت فإنني مستهلكٌ
مالي وعِرضي وافرٌ لم يُكلمِ [2]

وفضيلة الكرم والجود.

وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن ندىً
وكما عَلِمتِ شمائلي وتكرُّمي

وعنترة فارس شهم لا يحب سفك الدماء ظلماً ولا يرغب في إيقاد الحروب، ولكن غيره مَنْ يوقدها وهو الذي يقع فيها.

وإن تك حربكم أمست عواناً
فإني لم أكن ممن جناها[3]
ولكن وُلد سودة أرثوها
وشبوا نارها لمن اصطلاها[4]

---

(١) المثقف: المقوم. الكعوب: عقد الرمح.

(٢) لم يكلم: لم يجرح.

(٣) الحرب العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة، وهي أشد الحروب. ممن جناها: أي ممن أثارها وهيجها.

(٤) سودة: أم حذيفة بن بدر وعوف وحمل هم الذين أوقدوها، يقال أرثت النار، وشببتها إذا أوقدتها.

فــإنــي لـــســت خــاذلــكــم ولــكــن
سـأســعــى الآن إذ بــلــغــت أنــاهــا[1]

وعنترة ككل فارس مقدام يعشق الخيل ويؤثرها على نفسه وعياله، وكانت له امرأة من بجيلة لا تزال تذكر خيله، وتلومه في مهرٍ كـان يؤثره على عياله، ويطعمه البان إبله فقال يخاطبها:

لا تــذكــري مــهــري ومــا أطــعــمــتــه
فــيكــون جــلدك مثــل جــلد الأجــرب[2]
إن الــغــبــوق لــه وأنــت مــســوؤة
فـتـأوهـي مـا شئـتِ ثـم تـحـوبـي[3]
كــذب الــعــتــيــق ومــاء شــنٍ بــاردٍ
إن كـنـت سـائـلـتي غـبـوقـاً فـاذهـب[4]

---

(١) لست خـاذلكم: لا أترك نصـركم وعونكم وإن كنت لم أجنِ الحـرب عليكم. بلغت أناها: أي منتهاها.

(٢) يقول: لا تلوميني بذكر مهري وطعامـه، وإلا نفرت منك كما ينفر الصحيح من الأجرب.

(٣) الغبوق: ما يشرب العشي. يقول: سأخصه بشرب اللبن في العشي، فتأوهي كيف شئتِ وتوجعي.

(٤) كذب: هنا بمعنى وجب. العتيق: التمر القديم. الشن: القربة البالية. يقول: لا طعام لك عندي غير التمر القديم وماء القربة البالية البارد، وإن كنتِ تطلبين الغبوق، فاذهبي إلى رجل غيري.

ويحدث الشاعر الفارس عن القتلى والأسرى والسبايا والغنائم، فلا يخلو حديثه عن تكثر وغلو. والتكثر والغلو من خصائص شعر الفروسية، فإن الواقعة الصغيرة تبدو ملحمة والعدد القليل يغدو جيشاً عـرمرمـاً، والنفر من القتلى يُعـد بالمئات والألوف. على أن الغلو لم يأتِ مستقبحاً، لأنه وليد عاطفة متحمسة تجعله قريباً إلى النفس محبباً إليها، حيث تمسحه الفطرة الساذجة بجمالها الجذاب، فتراه وإن خالف الحقيقة أو الواقع إلاَّ أنه صادق في شعوره الفني، يجري مع الطبع في نشوة الخاطر المتدفق، لا يهيئه العقل في يقظة الفكر المتكلف.

وشعر عنترة الحماسي كسائر الشعر الجاهلي، يعتمد في الأكثر على الوصف، وفي الأقل على القصص، وهو في كـلا الحالين يؤثر الإيجاز على التطويل، ويلمح إلى الجزئيات دون الكليات، ويتعلق بالمادة أكثر من الروح، فلو أراد مثلاً أن يصف معركة ما اجتزأ ببضعة أبيات ترينا جواده وسيفه ومضات من البرق جميلة في سرعتها وتلويحاتها. غير أننا لا نخرج منها بفكرة عامة أو صورة تامة شاملة عن الواقعة أو الحدث.

فما ندري مثلاً كيف جرت حركات المتحاربين، ولا كيف انتظم الجيشان، ولا أين وقف الفرسان ولا أين وقف غيرهم من الرجَّالة، ولا كيف تم الهجوم والالتحام. كما أننا لا نسمع من الأصوات إلاَّ غماغم يختلط فيها صليـل السيوف

وصياح الفرسان، وحمحمة الجياد، ودقدقة الحوافر. ولا نرى من صفات السلاح إلا سيفاً بتاراً، ورمحاً طويلاً، ودرعاً سابغة.

وقليلاً ما يسهب الشاعر ويدقق في أوصاف السلاح كما يسهب ويدقق في نعت جواده ونعت نفسه، أو نعت الفارس المقاتل، حتى هذه الصورة لا تظهر في الغالب جلية، بل يتركها الشاعر غامضة مغشاة بالضباب، ويعطينا المعركة على الإجمال تهاويل مقطعة الخطوط والأوصال لا يتألف من أجزائها وحدة موضوعية متلاحمة. وهذه المآخذ لا تؤخذ على شعر عنترة فحسب، وإنما على شعر معظم الشعراء في العصر الجاهلي بصورة اجمالية.

الوصف:

والوصف عنده كما عند غيره من شعراء الجاهلية، لا يتعدى الطبيعة ومرئياتها، ولا يرتفع بها عن منزلتها إلَّا نادراً، كقوله في وصف الروضة:

أو روضةً أُنفاً تضمَّنَ نَبْتَها
غيثٌ قليلُ الدِّمْنِ ليسَ بِمُعْلمِ[1]

---

(١) روضة أنف: لم ترعَ بعد. قليل الدمن: أي أن المطر قليل اللبث فيها، لا يدمن عليها، فلا يفسد طيب رائحتها. ليس بمعلم: أي ليست بمعروفة.

جـادتْ عـلـيـهـا كـلُّ عـيـنٍ ثـرّةٍ

فـتـركْنَ كـل حـديـقـةٍ كـالـدرهـمِ(١)

سَـحّـاً وتـسـكـابـاً فـكُـلُّ عِـشـيَّـةٍ

يـجـري عـلـيـهـا الـمـاءُ لـم يـتـصـرَّمِ(٢)

وخَـلا الـذُّبـابُ بـهـا فـليس بِـبـارحٍ

غَـرِداً كـفِـعـلِ الـشـارب الـمـتـرنِّـم(٣)

هَـزِجـاً يُـحـكُّ ذراعَـه بـذراعـهِ

قَـدْحَ الـمكِـبِّ عـلى الـزِّنـادِ الأجـذمِ(٤)

وصف الذباب، إذا كان واقعاً في هذه الروضة التي لم ترعَ بعد، والتي لم يفسد المطرُ بكثرته طيبَ رائحتها، والتي هي غير معروفة من قبل الرعيان، ثم حكَّ إحدى يديه بالأخرى، فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليد يقدح بعودَين. ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك، وهي صورة رائعة لم يسبقه أحد إليها، تنِّم عن دقةٍ في الملاحظة وبراعة في الوصف وحسن في التعبير.

---

(١) البكر: السحابة في أول الربيع التي لم تمطر بعد. الحُرة البيضاء، الخالصة. القرارة: مستقر الماء، شبهها بالدرهم لاستدارتها وصفائها.

(٢) السح: الصب. والتسكاب: السكب. لم يتصرم: لم ينقطع.

(٣) ليس ببارح: ليس بزائل.

(٤) الهزج: السريع الصوت. المكب: المقبل على الشيء. الزناد: آلة القدح. الأجذم: الأقطع.

ووصف جواده في شكواه وتألمه صورة أُخرى تكاد تكون فريدة في روحانيتها حيث رفع حصانه وسما به عن دنيا الحيوان إلى مرتبة الإنسان فجعله يشكو ويتألم.

فازورَّ من وقع القنا بلبانه
وشكا إليَّ بعبرة وتحمحُمِ[1]

وفيما عدا ذلك فإن عنترة ككل أبناء عصره، براعته في الوصف لا تتجاوز النقل عن الطبيعة في الجملة على شيء من الإحكام والتهذيب، حيث يوجد للشاعر عين متنبهة لالتقاط المرئيات، ومخيلة مصورة تحسن تقليد الأشياء، ولكن ليس له قوة الخيال المبدع الذي يختزن المحسوسات ويجمع بعضها إلى بعض، ثم يحللها ويُركبها، فيصوغ منها صوراً جديدة أو يخلقها خلقاً مبتكراً إلاَّ في القليل المحدود. فهو يجيد الوصف ويتقنه أكثر مما يجيد القصص كما يفعل مثلاً في كلامه على مبارزاته حيث تأتي قصته ضعيفة الفن لاقتصارها على الخبر البسيط والسرد السريع، ولا جرم فإن الايجاز الذي درج عليه الجاهلي عامة كان يحول بينه وبين الإسهاب في أخباره[2].

---

(١) ازورَّ: مال. العَبرة: الدمعة. التحمحم: صوت الفرس المتقطع الذي يشبه الحنين.

(٢) انظر فصل ميزة الشعر الجاهلي في هذا الكتاب.

المـدح:

المدح في الجاهلية كان من الأبواب الرئيسة لاتصاله اتصالاً وثيقاً بالحياة القبلية. فقد كان على الشاعر أن يدافع عن أعراض قومه، ويمدح ساداتهم وفرسانهم، ويطري فضائلهم ويمجد أعمالهم، ولذلك كانت القبيلة تغتبط وتتباشر إذا نبغ شاعر فيها، وإن لم يكن من الفرسان، فكيف يكون الأمر إذا كان الشاعر نفسه فارساً وقائداً مثل عنترة، إن حماية الأعراض والأحساب لا تقل شأناً عن حماية الأرواح والأموال، والذود باللسان عن هذه القيم لا يقل أهمية عن الذود عنها بالسنان. وعنترة أشهر من دافع عن قومه بلسانه ويده فجمع المجد من طرفيه.

ذات يوم غزت عبس وعليهم قيس بن زهير، بني تميم. فغلب التميميون العبسيين. فوقف عنترة للعدو، ثم لحق به بعض قومه، فدافع عن المنهزمين، وحال بينهم وبين رجال تميم حتى لم يصيبوا مدبراً. وها هو يصف هذه الحادثة شعراً مفتخراً بنفسه وبقومه:

لـمـا سـمـعـتُ دُعـاءَ مُـرَّة، إذا دعـا
ودُعـاءَ عـبسٍ فـي الـوغـى، ومـحـلَّلِ
نـاديـتُ عـبـسـاً، فـاستـجـابـو بـالـقـنـا
وبـكـل أبـيـض صـارمٍ لـم يـنْـحَـلِ [1]

---

(١) لم ينحل، وفي الديوان (طبعة بيروت)، لم يفلل.

حتى استباحوا آلَ عونٍ عنوةً
بالمشرفيّ، وبالوشيجِ الذُبَّلِ[1]
إنّي امرؤٌ من خير عبسٍ منصباً
شطري، وأحمي سائري بالمُنصلِ[2]
والخيلُ تعلم، والفوارس، أنني
فرَّقت جمعَهُمُ بضربة فيصلِ[3]

ومن الملاحظ أن المدح لا يختلف في صفاته العامة عن الفخر والحماسة، فإن الفضائل التي يفاخر بها الشاعر الجاهلي، وينافس غيره من الشعراء والقبائل، هي التي يمدح بها السادات والملوك شاكراً أو متكسباً، معتذراً أو مستعطفاً، لأنها خير ما يرى من حميد المزايا ومكارم الأخلاق. وعنترة شاعر قبيلة لا شاعر أفراد، بمعنى أنه إذا مدح فمدحه يكون من خلال مصلحة القبيلة، لا من أجل منفعة شخصية، أو من أجل التكسب والاستجداء:

لله دَرُّ بني عبسٍ لقد بلغوا
كل الفخار ونالوا غاية الشرفِ

(١) الوشيج: شجر القنا «الرماح». الذبل: ج، ذابل: وهو اللين اللون.
(٢) المنصب: الأهل. المنصل: السيف.
(٣) الفيصل: السيف.

خافوا من الحرب لما أبصروا فرسي
تحت العجاجة يهوي بي إلى التلفِ
ثم اقتفوا أثري من بعدما علموا
أن المنية سهمٌ غيرُ منصرِفِ
خُضتُ الغُبارَ ومهري أدهمٌ حَلِكٌ
فعاد مختضباً بالدَّم والجِيفِ

فعنترة إذا ما مدح وافتخر إنما بنفسه وقومه.

لقد قالت عُبيلة إذ رأتني،
ومَفرِقُ لِمّتي مثلُ الشعاعِ[1]
ألا للهِ دَرُّك من شُجاع،
تَذِلّ لهولِه أُسد البقاعِ
... سموتُ إلى عنان المجد حتى
علوتُ على السُّها في الارتفاعِ

حتى إذا اضطر وفي بعض المناسبات النادرة إلى مدح سيد أو ملك حافظ الشاعر على كرامته فلم يتذلل لهم حتى وهو في أشد الحاجة إلى رفدهم ومعروفهم، أو عطفهم ومساعدتهم. قال مادحاً الملك زهير بن جذيمة العبسي.

---

(١) اللمة: شعر الرأس.

ومُـعـيـنـي عـلى الـنـوائـب لـيـثٌ
هـو ذُخـري وفـارجٌ لـهـمـومـي
مـلكٌ تـسـجـدُ الـمـلوك لـذكـرا
هُ وتـومـي إلـيـه بـالـتـفـخـيـمِ
وإذا سـار سـابـقـتـه الـمـنـايـا
نـحـو أعْـداهُ قـبـل يـوم الـقـدومِ

نفسٌ أبية كريمة تأبى الذل والهوان، ارتفع بها صاحبها لتشمل النفس البشرية عامة، فعنترة كان من أشد الناس حرصاً على كرامة الانسان كإنسان وعلى حريته، والنأي به عن مواضع المهانة والاحتقار حتى ولو كان عبداً حبشيّاً، نرى ذلك من خلال أقواله وأفعاله ونضاله في سبيل انتزاع حريته وانسانيته وتحطيم قيد عبوديته.

تـجـافـيـت عـن طـبـع الـلئـام لأنـنـي
أرى البخـل يشنـا والمكـارم تُـطلبُ[1]

أو قوله:

لا تـسـقـنـي مـاء الـحـيـاة بـذلـةٍ
بَـلْ فـاسقني بـالعـزِ كـأسَ الحنـظلِ

---

(١) الديوان، ص ١٢. يشنا: من شنىء الشيء، إذا كرهه. أي أن البخل مكروه مبغوض.

مـاء الـحـيـاة بـذلـة كـجـهـنـمٍ
وجـهـنـمٌ بـالـعـز أطـيـبُ مـنـزلِ

الهجـاء:

والهجاء كالمدح باب رئيس متصل بسياسة القبيلة وحياتها الاجتماعية، لأنها كانت تدفع شاعرها إلى الذود عن اعراضها، والرد على الشعراء الذين يهجونها، فينشر مثالب اعدائها، ويعدد انكساراتهم سارداً أخبارهم بإيجاز أو بشيء من التفصيل، وشاعرنا عنترة لم يحد عن هذا المبدأ في هجائه، كما لم يحد عنه في مدحه، فهو شاعر القبيلة وفارسها وقائدها، فكما أنه لم يخرج بالمديح إلى التكسب والمنفعة الشخصية، كذلك كان هجاؤه أيضاً، فإذا هجا فهجاؤه متصل بسبب أو بآخر بأمر من أمور القبيلة. وكان من أشد الهجاء عندهم ما كان فيه التفضيل، خصوصاً بين الأقرباء، لأن كلاً منهم طامع في السيادة، ويسمونه الهجاء المقذع، ولكن عنترة ابتعد عن هذا النوع من الهجاء لأنه كان اسلوب الشعراء المتكسبين امثال الحطيئة وغيره، كما ابتعد عن القذف والسباب والبذاءة، بل استعمل اسلوباً ناعماً موجعاً يغض من شأن اعدائه ومنزلتهم الاجتماعية، بأن ينزع عنهم الفضائل التي يحب البدوي أن يُنعت بها ليعدَّ أهلاً للسيادة.

كان عمارة بن زيادِ يحسد عنترة ويقول لقومه: «إنكم

أكثرتم ذكره، والله لوددت أن لقيته خالياً حتى أُعلمكم أنه عبد»
فبلغ عنترة قول عمارة فقال، يهجوه:

أحـولـيَ تـنـفضُ اسـتـك مِـذْرَوَيـهـا
لـتـقـتـلـنـي فـهـا أنـا ذا عـمـارا[1]

مـتـى مـا تـلـقـنـي فـرديـن تـرجـف
روانـف إلـيـتـيـك وتـسـتـطـارا[2]

وسـيـفـي صـارمٌ قـبـضـت عـلـيـه
أشـاجـع لا تـرى فـيـهـا انـتـشـارا

وسيفـي كـالـحـقـيـقـة وهـو كـمـعـي
سـلاحـي لا أفـلٌ ولا قـطارا[3]

سـتـعـلـم أيّـنـا لـلـموت أدنـى
إذا دانـيـت لـي الأسـل الـحـرارا[4]

وخـيـلٍ قـد دلـفـت لـهـا بـخـيـلٍ
عـلـيـهـا الأسـد تـهـتـصـر اهـتـصـارا[5]

---

(١) المذروان: طرفا الإليتين ولا واحد لهما.
(٢) الروانف: أسفل الإلية، أي إنك ترجف جزعاً.
(٣) الكمع: الضجيع. أفل: ذو فلول. وقطار: أي فيه صدوع.
(٤) الأسل: القنا. الحرار: العطاش الدماء.
(٥) الأهتصار: الهصر وهو الكسر وجذب الشيء وإمالته.

فإن شاعرنا قد نالته من هذا الشخص أذية، فاندفع إلى الانتقام منه بشعره قبل أن تناله يده، فنعته بالجبانة والخسة مهدداً متوعداً.

وهذا الجعد بن أبان بن عبد الله بن دارم، كان قد استعار من عنترة رمحاً، فأمسكه الجعد عنه، ولم يصرفه إليه فهجاه عنترة بقوله:

إذا لاقيتَ جمعَ بني أبانٍ
فإني لائم للجعد لاحي[1]
كأن مؤشرِ العضدين حَجْلاً
هدوجاً بين أقلبة ملاح[2]
تضمن نعمتي فعدا عليها
بكوراً أو تعجل في الرواح[3]

---

(١) يقول: إذا لاقيت هؤلاء القوم، فابلغهم لومي للجعد، وملاحاتي إياه.

(٢) مؤشر العضدين: أي محددهما، وهو الذئب. وقيل هو الجعل العظيم. وهدوجاً: مقارب الخطو. والأقلبة: جمع قليب، وهو البئر. وملاح: جمع ملح.

(٣) تضمن نعمتي فعدا عليها: أي جحدينها، ولم يعبأ بها. يقول إن الجعد لما انعمت عليه بالرمح الذي طلبه مني، فكأني إنما انعمت به على ذئب، والذئب اغدر الحيوان، أو كأني أنعمت به على جعل لأنه يألف الحدث والقذر ويتبعه. فنسبه إلى قلة الوفاء والدناءة، فجعله كأخس الهوام.

ألــم تــعــلــم لــحــاك الله أنـــي
أجــمّ إذا لــقــيــت ذوي الــرمــاح[1]
كـــســوت الــجــعــد جــعــد بــنــي أبــان
ســلاحــي بــعــد عُــريٍ وآفــتــضــاح

وهكذا نعته بأقبح النعوت التي يأنف منها البدوي، فنسبه إلى قلة الوفاء والدناءة، وجعله كأخس الهوام. فأسقط المهجو من منزلته الاجتماعية، بنزعه عنه الفضائل التي يحبها ويعتز بها.

الرثـــاء:

يشغل الرثاء جانباً من الشعر القبلي لأنه، في أكثره، مصروف إلى سادات العشيرة وفرسانها الذين لهم فيها المآثر المحمودة، فليس موتهم موت واحد فردٍ، بل بنيان قوم تهدم، وكلما دنت القرابة أو المودة بين الشاعر والفقيد ازداد الرثاء حسرة وتفجعاً وصدقاً، وأروعه ما نُدب به الأبطال المجدَّلون في حومات الوغى والقتال.

قُتل أحدُ سادات عبس وهو مالك بن زهيـر العبسي، وكان صديقاً لعنترة فرثاه بهذه القصيدة قائلاً:

---

(١) لحاك الله: أهلكك. أجم: من لا رمح معه.

ألا يا غراب البين في الطيرانِ
أعرني جناحاً قد فقدت بناني

وهو يشير إلى مصرعه، فقد مات هذا السيد العزيز في ذلة وهوان. فينعاه الشاعر بقوله:

ترى هل علمت اليوم مقتل مالك
ومصرعه في ذلة وهوان

لقد قُتل هذه السيد الفارس الذي كان يحمي الذمار ويطعن الأعداء، فهد فقده ومصابه ركن الشاعر وخلى فؤاده دائم الحزن والخفقان. فيقول:

وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها
ويطعن عند الكر كل طعان
به كنتُ أسطو حينما جدَّتِ العدا
غداة اللقا نحوي بكل يماني
فقد هد ركني فقده ومصابه
وخلى فؤادي دائم الخفقان
فوا أسفا كيف انثنى عن جواده
وما كان سيفي عنده وسناني

يتأسف الشاعر كيف أن هذا الفارس قد سقط عن

جواده، ويتمنى لو أنه قُتل معه، ويعده بأخذ ثأره من الأعداء ويقسم له على ذلك، فيقول:

رماه بسهم الموت رامٍ مصمّم
فيا ليته لمّا رماه رماني
فسوف ترى إن كنتُ بعدك باقياً
وأمكنني دهرٌ وطولُ زماني
وأقسم حقّاً لو بقيت لنظرةٍ
لقرّت بها عيناك حين تراني

وهكذا يشتد الغلو في ذكر أوصاف الميت وتعظيم المصاب به، فليس إلاَّ الشعور يفيض دمعاً وأسىً عليه، وفخراً ومباهاةً به، ومدحاً وتأبيناً له، فتتفاعل في نفس الشاعر مشاعر مختلفة من خسارة وحزن، وإعجاب واعتزاز، وضغن ونقمة، وقد بلغ استعظام الخطب بالشاعر إلى أن تمنى حدوث انقلاب في الكون، فيقول:

فإن كان حقاً فالنجوم لفقده
تغيب ويهوي بعده القمران
لقد كان يوماً اسودَ الليل عابساً
يخاف بلاه طارق الحدثان

ويشير إلىَ أن قتله كان سببه السباق الذي جرى بين

فرسين، وهما داحس والغبراء، ويتمنى لو لم يحصل هذا السباق لأنه قد جلب معه حرباً عظيمة تبيد الحرث والنسل.

فلله عينا من رأى مثل مالك
عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوة
وليتهما لم يرسلا لرهان
وليتهما ماتا جميعاً ببلدة
واخطاهما قيس فلا يريان
لقد جلبا حيناً وحرباً عظيمة
تبيد سراة القوم من غطفان

الغزل:

الغزل والحماسة من أهم المعالم التي طبعت شعر عنترة الفارس العاشق بطابعها، وتركتْ بصماتها عليه بوضوح وجلاء.

لقد أحب عنترة ابنة عمه عبلة، ولاقى في حبها ألواناً من المرارة والحرقات، بعضها يعود إلى أسباب اجتماعية عائلية، وبعضها بسبب لونه، وعدم تمتعه بحريته، وعلى الأخص في بداية حياته. ولا ريب إن وراء عظمة عنترة، شاعراً وفارساً، تقف عبلة التي وقف عليها معظم ما قاله من الشعر، بالإضافة

طبعاً إلى مؤهلاته الذاتية. وأن أكثر شعره الغزلي يقوم على الوصف والتشبيب، وأقله ما جاء على شكل قصة يحمل ذكريات مغامراته العاطفية يتخللها الحوار، وفيه من العفة ما يجعل صاحبه في مقدمة الشعراء العذريين، ويبدأ غزله في الغالب الأعم بذكر الديار، وذكر الفراق، والوقوف على الأطلال، وانتقال الظعائن، على عادة الشعراء الجاهليين، فتشجى نفسه وتفيض عيونه بالبكاء، ويستعيد صورة الحبيب النائي آخذاً بوصفه وتمثيله ومن ذلك قوله:

أعياك رسمُ الدار لم يتكلَّمِ
حتى تكلم كالأصمِّ الأعجمِ

ولقد حبست بها طويلاً ناقتي
أشكو إلى سفعٍ رواكدَ جثَّمِ

يا دارَ عبلة بالجواءِ تكلمي
وعمي صباحاً دار عبلةَ واسلمي

حُيِّيت من طللٍ تقادم عهده
أقوى وأقفر بعد أُم الهيثم[1]

إن كنت أزمعت الفراقَ فإنما
زُمتْ ركابكم بليل مظلمِ

(١) أم الهيثم: كُنية عبلة.

أو قوله في القصيدة العقيقية:

بين العقيق، وبين بُرقَةِ ثَهمَدِ
طَلَلٌ لعبلةَ مُستَهِلُّ المعْهَدِ[1]

يا مسرح الآرام في وادي الحمى
هل فيك ذو شجنٍ يروح ويغتدي

في أيمن العلَمَين درسُ معالمٍ
أوهى بها جَلَدي، وبان تجلُّدي،

من كُلِّ فاتنةٍ تلَفَّت جيدُها
مرحاً كسالفة الغزال الأغيدِ[2]

وهو حائر ينشد السلو، وقد حبس دمعه تجلُّداً لا بُخلاً به لأن البكاء غير جدير بأمثاله من الفرسان، وها هو يسأل طيرَ الدوح كم شجا بأنينه وحنينه من أمثاله.

كيف السُّلوُّ وما سمعتُ حمائماً
يندُبن إلا كنتُ أولَ منشدِ

ولقد حَبَسْتُ الدمعَ لا بخلاً به،
يوم الوداع على رُسوم المعهدِ

(١) العقيق: مواضع بالمدينة واليمامة والطائف وتهامة ونجد، وستة مواضع أخرى. وبرقة ثهمد: موضع لبني دارم.
(٢) الأغيد: المائل العنق.

وسألت طيرَ الدوح كم مثلي شجا
بأنينهِ وحنينهِ المترددِ[1]
ناديتُه ومدامعي مُنْهَلَّةٌ
أين الخَلِيُّ من الشَّجيِّ المكْمَدِ

وهو شديد الشغف بذكر محاسن الحبيبة وأعضائها وملامحها ومزاياها. كقوله:

إذْ تستبيك بذي غروب واضحٍ
عذبٍ مُقَبَّلهُ لذيذ المطعم
وكأنما نظرت بعيني شادنٍ
رشأٍ من الغُزلانِ ليس بتوأمِ

وها هو يحيطها بأحسن ما عنده من التشابيه الحسِّية، شعرها أسود فاحم طويل إذا أرسلته، ووجهها أبيض ضارب إلى الصفرة، يضيء كالشمس أو كالبدر، أما العيون فهي سوداء كحلاء حوراء، مثل عين الغزال أو المهاة، ويستحسن بياض الأسنان ويشبهها باللؤلؤ أو البرد.

ورنتْ، فقلتُ غزالةٌ مذعورةٌ،
قد راعها، وسط الغلاةِ، بلاءُ

(١) الدوح: جمع الدوحة: وهي الشجرة الضخمة الوارفة الظلال.

وبــدتْ، فــقــلتُ الــبــدرُ لــيــلة تِــمِّــهِ
قــد قــلَّدتــهُ نــجــومَــهــا الــجــوزاءُ
بــسمــت، فــلاح ضيــاءُ لـؤلـؤ ثـغــرِهــا
فـيــه لــداءِ الــعــاشــقــيــن شــفــاءُ

أو قوله:

أشــارت إلــيهــا الــشمسُ عــنــد غــروبــهــا
تقــول إذا اســودَّ الــدُّجى فــاطلعي بعــدي
وقــال لــهــا البــدرُ الــمنيــرُ: أَلَا اسفــري
فــإنــك مثلي في الكــمــال وفي الــسَّعــدِ
وسَلَّت حُســامــاً مــن ســواجي جُـفــونـهــا
كسيف أبيهــا القــاطــع المــرْهَف الحــدِّ[1]
تــقــاتــلُ عــيــنــاهــا بــه وهــو مُــغْــمَــدٌ
ومن عجبٍ أن يقــطع الــسيف في الــغمــدِ

ويمدح الثغر ببرودة الريق، وحلاوة الطعم، وطيب النكهة لا تخلفه أو تفسده نومة الضحى. ويشبهه بالخمرة أو فأرة المسك والروضة الأُنُف.

وبــيــنَ ثــنــايــاهــا إذا مــا تــبــسَّــمــتْ
مُــديــرُ مُــدامٍ يَــمــزجُ الــرَّاح بــالــشَّهــدِ

---

(١) سواجي: جمع ساجي: وهو الساكن.

أو قوله:

وكـأن فـأرة تـاجـرٍ بـقـسـيـمـة
سبقت عـوارضَهـا إلـيـكَ مـن الـفـمِ

وهو يعجب بالجيد الأتلع ويرى له شبهاً في جيد الرئم، والخصر الأهيف، والكشح الهضيم، والردف الثقيل، والقامة اللدنة، فيشبه الخصر بالجديل، والردف بالكثيب، والقامة بالغصن أو الرمح.

خَـطرتْ فـقـلتُ قـضيـبَ بـان حَـركـتْ
أعـطافـه، بـعـد الـجـنـوب، صـبـاءُ

ولكن غزله يُبدي سُوءَ ظنه في محبوبته، وأشد ما يعاني من غدرها وتبديلها العهودَ والأصحاب، فيخاطبها قائلاً:

ألا يــا عـبـلُ، ضَـيَّـعـتِ الـعـهـودا
وامـسـى حُـبُـكِ الـمـاضـي صـدودا
ومـا زال الـشـبـابُ ولا اكـتـهـلـنـا
ولا أبـلـى الـزمـان لـنـا جـديـدا

وكان عنترة قد خرج إلى العراق طالباً النوق العصافيرية وهي مهر عبلة ابنة عمه، فاسر هناك، وتذكر، وهو في سجن المنذر بن ماء السماء حبيبته وقومه فأنشد هذه الأبيات الغزلية الوجدانية الرقيقة، يشكو فيها هواه وغربته:

جفون العذارى من خلال البراقعِ
أحدُ من البيض الرقاق القواطعِ
إذا جُرِّدت ذَلَّ الشَّجاعُ وأصبحت
محاجرُهُ قرحى بفيض المدامعِ
لقد ودعتني عبلة يوم بينها
وداع يقينٍ أنني غيرُ راجعِ[1]
فيا نسماتِ البان بالله خبري
عبيلةَ عن رحلي بأيِّ المواضعِ
ويا بَرْقُ! بلغها، الغداةَ، تحيتي
وحي دياري في الحمى ومضاجعي
أيا صادحات الأيكِ إن متُّ فاندُبي
على تُربتي بين الطيور السواجعِ
ويا خيلُ فابكي فارساً كان يلتقي
صُدُورَ المنايا في غُبار المعامعِ

لقد أحس عنترة كل الإحساس بالمرارة والألم والخيبة، واللذة والأمل، فكانت تعبر عن هذه المشاعر دموعه وابتساماته، وتلهفه وابتهاجه، أكثر مما تعبر عنها صوره وألوانه، فهو يحسن تصوير الأشياء المرئية المحسوسة، التي تبعث فيه

---

(١) بينها: فراقها.

الشعور والاشتياق، وقد يحسن أحياناً تصوير ما في النفس من خوالج وانفعالات.

والغزل عنده بما فيه من فطرة، لا يخلو من سذاجة التعبير عن حب الشاعر وشكواه وتضجره من العواذل. ولكن فيه من الأنفة والإباء ما يرفعه عن التذلل والعبودية وتعفير الوجه على اقدام الحبيبة كفعلنا اليوم. وكثيراً ما تمتزج عنده ألفاظ الحب بألفاظ الحرب وجعجعة السلاح.

الحكم والمواعظ:

الحكم في الجاهلية وليدة حوادث الدهر وتجاربه، لا وليدة العلم والتفكير العميق والتأمل الطويل. فجاءت، في كثرتها، من الحقائق البديهية والفكر المشترك، موافقة للحياة القبلية في الصحراء، وما تواضعت عليه في ناموسها الفطري من الآداب الخلقية والاجتماعية، ترشد البدوي إلى منافعه، وتبعده عن مضاره، تزين له الفضائل التي تُحبذها الحمية الجاهلية كتعظيم القوة وتحقير الضعف، وظلم البعداء والحلم على الأقرباء، والعفَّة عن الجارة، وإدراك الثأر، وصنع المعروف لنيل الثناء واكتساب الذكر الجميل، كما تزين له فضائل انسانية شاملة لا يحدها زمان ولا مكان كالأمانة والوفاء، واصطفاء الصديق، وتجنب الرياء والخيانة، وإباء الذل والصبر على المصائب.

وعنترة وهو أحد هؤلاء الشعراء، لم يخرج على هذه القاعدة فلم يخص قصيدة كاملة بالحكم والمواعظ، دون أن يتناول غرضاً آخر أو عدة أغراض، وكل بيت مستقل بحكمته، لا يتصل بغيره إلا قليلاً أو نادراً. ويغلب عليها الأسلوب الخطابي بما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب، اصطنع الأمثال في شعره ليعظ بها قومه.

فهذا عنترة ينصح قومه بعدم الخشية من الموت، إذا ما داهمتهم صروف الدهر ونوائبه، لأنه يريد منهم أن يكونوا ابطالاً شجعاناً يقتحمون الشدائد والمصاعب، وأن يعتادوا على العيش الخشن، ويبتعدوا عن الحياة المنعمة اللينة، لأن الدهر لا يدوم على حال حيث يقول:

إذا كشفَ الزمان لك القناعا
ومدَّ إليكَ صرف الدهر باعا
فلا تخش المنيةَ واقتحمها
ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تختر فراشاً من حريرٍ
ولا تبكِ المنازلَ والبقاعا

وإذا جاءت ساعة الموت لا يقدر انسان أن يردها حتى ولو كان طبيباً مداوياً:

يقول لك الطبيب دواك عندي
إذا ما جسَّ كفك والذراعا
ولو عرف الطبيبُ دواءَ داءٍ
يردُّ الموت ما قاسى النزاعا

وها هو ينصح ابنة عمه عبلة، لا بل المرأةَ إجمالاً من خلال نصحه لابنة عمه قائلاً: بان أيام الشباب قصيرة وسرعان ما تذهب وتزول، وتُخلِّفُ بعدها حسرة لمن يتوانى عن استغلالها والاستفادة منها:

عبيلة أيام الجمال قليلة
لها دولة معلومة ثم تذهب

وينصح أيضاً بعدم الرأفة بالعُذَّال والأعداء، وإذا حللتَ في مكان تُذل به من الواجب عليك تركه والرحيل عنه، وإذا بليتَ بظالم فكن ظالماً مثله ولا ترحمه، وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل جهلهم، حيث يقول:

حَكِّمْ سيوفكَ في رقاب العذَّل
وإذا نزلتَ بدار ذلٍّ فارحل
وإذا بليتَ بظالم كن ظالماً
وإذا لقيتَ ذوي الجهالة فاجهل

ويتابع عنترة نصائحه قائلاً: وإذا الجبان نهاك عن خوض المعارك، خوفاً منه عليك وعلى حياتك، فلا تطعه ولا تحفل به، وكن أول المقاتلين، واختر لنفسك منزلاً تعلو به، أو متْ كريماً وسط المعامع والمعارك، وأن الإنسان سوف يموت يوماً، ولا يستطيع الهروب من الموت حتى ولو كان في بروجٍ مشيدة، وإن موت الفتى في الحروب هو خير له من أن يبيت عبداً للنساء.

وإذا الجبان نهاك يوم كريهة
خوفاً عليك من ازدحام الجحفلِ
فاعصَ مقالته ولا تحفل بها
واقدم إذا حق اللقا في الأولِ
واختر لنفسك منزلاً تعلو به
أو مت كريماً تحت ظل القسطلِ (١)
فالموت لا ينجيك من آفاته
حصن ولو شيدته بالجندلِ
موت الفتى في عزةٍ خير له
من أن يبيت أسير طرف أكحلِ

والحقيقة تُقال إن عنترة قد أضاف إلى العربية صفحات

(١) القسطل: الغبار.

مشرقة من الشعر الخالد، ولا شك أن من لـه ملكة عنتـرة الشعرية إنما هو شاعر مجيد مكثر ولو خلص إلينا جميع شعره لكان لنا منه غنم أيّ غنم.

وبحسبنا الآن ما أُفلت إلينا من أيدي الزمان، وما وعاه الرواة ليقيم لعنترة في ميدان الشعر عكاظاً، وليسطر لاسمه في سجل النابغين من شعراء الجاهلية مجداً باذخاً.

وحسب ذاكرة التاريخ أنها حرصت على أن تقيم لهذا الشعر في كل جيل مهرجاناً، وأن تحفز الباحثين على دراسته ونقده، وتشوقهم كل حين إلى الاحتفال به واستكناه طرائفه وذخائره. هذا، وقد نقل هاملتن أشعار عنترة إلى الانكليزية وطبعها في مجلدين سنة ١٨٢٠م، ونقل ديفيك حماسياته إلى الفرنسية وطبعها بباريس، كما ونجد لقصائد عنتـرة ترجمـة بالألمانية طبعها منيل ببتافورم سنة ١٨١٦م، كما أن أشعاره مطبوعة في ترجمات المعلقات الكبيرة إلى اللاتينية والإنكليزية والألمانية[١].

ولا ريب أن شعر عنترة الحماسي كان من حيث قوته وجهارته كأناشيد الجيوش في وقت الحرب. كما لا ينبغي لنا أن نغفل عن تلك العذوبة التي نتذوقها في شعره فإنه رقيق على غير ضعف، سهل العبارة على غير إسفاف.

(١) انظر، حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ص ٧٥٠ ـ مطبعة عيسى الحلبي.

معلقته وشرحها

أ ـ المعلقات:

هي القصائد السبع المتخيرة والمفضلة عند العرب التي كتبوها بماء الذهب وعلقوها على أستار الكعبة، كما كانت هذه المعلقات تسمى أيضاً المذهبات[1].

وقيل إن سبب تسمية المعلقات أن العرب كانوا يتناشدون الأشعار والقصائد في أسواق الشعر المعروفة، فإذا استحسن الملك قصيدة ما قال: علقوا لنا هذه فتكتب وتعلق في خزانته، ولربما كان الملك المقصود هو النعمان بن المنذر، وربما كان أي ملك من الملوك الذين يعنون بالشعر والأدب.

فالمعلقات إذن هي خير أشعار العرب في العصر الجاهلي وخلاصة منظومهم لما افتنوا فيها وأبدعوا من ضروب القول ومستحدثات المعاني ومن تلون أغراض الشعر وقوة الأسلوب ونضارته وجودة الوصف والتركيب.

---

(١) خزانة الأدب، ج١ ص ٦١؛ العمدة، ابن رشيق ج١ ص ٧٨.

ب ـ معلقته:

نظم عنترة هذه المعلقة دفاعاً عن فنه ودحضاً لحجة خصمه، على أثر ملاحاته لرجل من قومه اتهمه بالتقصير في قول الشعر كما مر معنا ذلك في معرض الحديث عن أغراضه وأساليبه الشعرية.

أما معلقته فقد شملت ألواناً وأفانين، ففيها لوعة الفراق وذكرى الأطلال وفيها غزله بعبلة وهيامه بها ووصفه للناقة والاعتزاز بخلائقه وكرمه وخمرياته، ثم ذكر غزواته وحروبه وفخره بقومه ومناوأة شاتميه وحساده، فهي مستوعبة آماله وأمانيه، مصورة حاضره وماضيه.

يبدأ عنترة معلقته بأسلوب فيه نوع من التواضع الأدبي فهو يتساءل في مطلعها تساؤل المستنكر:

هَلْ غادرَ الشُعراءُ مِنْ مُتردَّمِ
أمْ هل عرفتَ الدارَ بعدَ توهُمِ (١)

(١) المتردم: الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي، والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين.
فهو يقول: هل تركت الشعراء موضعاً مسترقعاً إلا وقد رقعوه وأصلحوه؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الانكار، أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوه فيه، وتحرير المعنى: أنه لم يترك الأول للآخر شيئاً، أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أصلحه، أي أنهم لم يتركوا شيئاً إلا رجعوا نغماتهم بانشاء الشعر وانشاده =

يـا دارَ عـبـلةَ بـالـجَـوَاءِ تـكـلَّمِـي
وَعـمِـي صـبـاحـاً دارَ عـبـلةَ واسـلمـي[1]
فَـوَقَـفْـتُ فـيـهـا نـاقـتـي وكـأنَّـهـا
فَـدَنٌ لأَقـضـيَ حـاجـةَ الـمـتـلوِّمِ[2]
وَتَـحُـلُّ عـبـلةُ بـالـجـواءِ وأهـلُنَـا
بـالـحَـزْنِ فـالـصَّـمَّـانِ فـالـمـتـثلّمِ[3]

= في وصفه ورصفه، ثم أضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطباً نفسه. هل عرفت دار عشقيتك بعد شكك فيها، وأم ههنا معناها بل عرفت، وقد تكون أم بمعنى بـل مع همـزة الاستفهام، كمـا قال الأخطل:

كـذبـتـك عـيـنـك أم رأيـت بـواسط
غـلس الـظلام مـن الـربـاب خـيـالا

أي بل أرأيت، ويجوز أن تكون هل ههنا بمعنى «قد» كقوله عز وجل «هل أتى على الانسان» أي قد أتى.

(١) الجو: الوادي، والجمع الجواء، والجواء في البيت هنا موضع بعينه. علية: اسم عشيقته، يقول: يا دار حبيبتي بهذا الموضع أو المكان تكلمي واخبريني عن أهلك ما فعلوا، ثم أضرب عن استخباره إلى تحيتها فقال: طاب عيشك في صباحك وسلمتِ يا دار حبيبتي.

(٢) الفدن: القصر، والجمع الأفدان. المتلوم: المتمكث، المترقب. يقول: حبستُ ناقتي في دار حبيبتي، ثم شبه الناقة بقصر في عظمتها وضخم جرمها، ثم قال: وإنما حبستها ووفقتها فيها لأقصي حاجة المتمكث المترقب بجرعي من فراقها وبكائي على أيام وصالها.

(٣) يقول: وهي نازلة بهذا الموضع وأهلها نازلون بهذه المواضع.

حُـيِّـيـتَ مِـن طَـلَـلٍ تـقـادمَ عـهـدُهُ
أقـوى وأقـفـرَ بـعـد أمِّ الـهـيـثـمِ (١)

حَـلَّـتْ بـأرض الـزّائـريـنَ فـأصبـحـتْ
عَـسِـراً عـليَّ طِـلابُـكِ ابـنـة مـخـرَمِ (٢)

عُـلِّقـتُـهـا عَـرَضـاً وأقـتُـلُ قـوْمَـهَـا
زَعْـمـاً لـعَـمـرُ أبـيـكَ لـيسَ بـمـزْعَـمِ (٣)

---

(١) الأقواء والأقفار: الخلاء، جمع بينهما لضرب من التأكيد. أم الهيثم: كُنية عبلة.
يقول: حييت من جملة الأطلال، أي خصصت بالتحية من بينها، ثم أخبر أنه قدم عهده بأهله وقد خلا من السكان بعد ارتحال حبيبته عنه.

(٢) الزائرين: الأعداء، جعلهم يزأرون زئير الأسد، شبه توعدهم وتهددهم بزئير الأسد.
يقول: نزلت الحبيبة بأرض اعدائي فعسر علي طلبها، وأضرب عن الخبر في الظاهر إلى الخطاب، وهو شائع في الكلام.

(٣) قوله: عرضاً، أي فجأة من غير قصد له. والتعليق هنا. التفعيل من العلق والعلاقة وهما العشق والهوى، يقال: علق فلان بفلانة، إذا كلف بها، علقاً وعلاقة. العمر والعمر، بفتح العين وضمها: الحياة والبقاء، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين. الزعم: الطمع. والمزمع: المطمع.
يقول: عشقتها وشغفت بها مفاجأة من غير قصد مني، أي نظرت إليها نظرة اكسبتني شغفاً بها وكلفاً مع قتلي قومها، أي مع ما بيننا من القتال، ثم قال: اطمع في حبك طمعاً لا موضوع له لأنه لا يمكنني الظفر بوصالك مع ما بين الحيين من القتال والمعاداة، والتقدير. أزعم زعماً ليس بمزعم أقسم بحياة أبيك أنه كذلك.

ولقد نزلتِ فلا تظنّي غيرَهُ
مِنّي بمنزلةِ المحبِّ المُكرَمِ (١)

كيف المزارُ وقدْ تربَّعَ أهلُها
بعُنيزتينِ وأهلُنا بالغيلَمِ (٢)

إنْ كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنَّما
زُمَّتْ رِكابُكُمُ بليلٍ مُظْلِمِ (٣)

ما رَاعني إلا حَمُولةُ أَهْلِها
وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حبَّ الخِمخِمِ (٤)

---

(٨) يقول: وقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم فتيقني هذا واعلميه قطعاً ولا تظني غيره.

(٢) يقول: كيف يمكنني أن ازورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين بينما يحل أهلي في موضع آخر مغاير وبينهما مسافة بعيدة ومشقة مديدة؟ أي كيف يتأتى لي زيارتها وبين حلتي وحلتها مسافة؟ المزار في البيت: مصدر كالزيارة. التربع: الاقامة زمن الربيع.

(٣) الازماع: هو توطين النفس على الشيء. الركاب: الإبل، لا واحد لها من لفظها، وقال الفراء: واحدها ركوب مثل قلوص وقلاص.

يقول: إن وطنتِ نفسكِ على الفراق وعزمت عليه فإني قد شعرت به بزمكم ابلكم ليلاً، وقيل: بل معناه قد عزمت على الفراق فإن إبلكم قد زمت بليل مظلم. «فإن» على القول الأول حرف شرط، وعلى القول الثاني حرف تأكيد.

(٤) راعه روعاً. أفزعه. الحمولة: الإبل التي تطيق أن يحمل عليها. وسط، بتسكين السين، لا يكون إلا ظرفاً والوسط، بفتح السين، اسم لما بين طرفي الشيء. الخمخم: نبت تعلفه الإبل. السف والاستفاف معروفان. =

فـيـهـا اثـنـتـانِ وأربـعـونَ حَـلُوبـةً
سُـوداً كـخـافـيـة الـغُـراب الأسـحـمِ (١)
إذ تـسـتـبـيـكَ بـذي غُـرُوبٍ واضـحٍ
عـذبٍ مُـقـبَّـلُهُ لـذيـذ الـمـطعـمِ (٢)
وكـأنَّ فـارةَ تـاجـرٍ بـقَـسـيـمـةٍ
سبقتْ عـوارِضها إلـيـكَ مـن الـفَـمِ (٣)

= يقول: ما افزعني إلا استفاف إبلها حب الخمخم وسط الديار، أي ما انذرني بارتحالها إلا انقضاء مدة الانتجاع والكلأ فإذا انقضت مدة الانتجاع علمت أنها ترتحل إلى دار حيها.

(١) الحلوبة: جمع الحلوب عند البصريين، يقصد بها النوق. الأسحم: الأسود، يقول: في حمولتها اثنتان وأربعون ناقة تحلب سوداً كخوافي الغراب الأسود، ذكر سوادها دون سائر الألوان لأنها أنفس الإبل وأعزها عندهم، وصف رهط عشيقته بالغنى والتمول.

(٢) الاستباء والسبي واحد. غرب كل شيء: حده، والجمع غروب. الوضوح: البياض. المقبل: موضع التقبيل. المطعم: الطعم.
يقول: إنما افزعك من ارتحالها حين تستبيك بثغر ذي حدة واضح عذب موضع التقبيل منه ولذّ مطعمه، أراد بالغروب الأشر التي تكون في أسنان الشواب، وتحرير المعنى: أنها تستبيك بذي أشر يستعذب تقبيله ويستلذ طعم ريقه.

(٣) أراد بالتاجر: العطار. سميت فارة المسك فارة لأن الروائح الطيبة تفور منها، والأصل فائرة فخففت فقيل فارة. القسامة: الحسن والصباحة، والفعل قسم يقسم، والنعت قسيم، والتقسيم التحسين، ومنه قول الحجاج ورب هذا الأثر المقسم، أي المحسن، يعني به مقام إبراهيم (ع) والعوارض من الأسنان معروفة. =

أوْ روضــةً أُنُــفــاً تَــضَــمَّــنَ نــبــتَــهــا

غَيْثٌ قليــلُ الــدِّمــنِ ليس بــمــعْــلَمِ (١)

جــادتْ عــلــيــه كــلُّ بــكــرٍ حُــرَّةٍ

فــتــركْــنَ كــلَّ قــرارةٍ كــالــدِّرهــمِ (٢)

سَــحّــاً وتَــســكَــابــاً فــكُــلَّ عــشــيَّــةٍ

يــجــري عليــهــا الــمــاءُ لــم يــتــصــرَّمِ (٣)

= يقول: وكأن فارة مسك عطار بنكهة امرأة حسناء سبقت عوارضها إليك من فمها، شبه طيب نكهتها بطيب ريح المسك، أي أنها تسبق نكهتها الطيبة عوارضها إذا رمت تقبيلها.

(١) روضة أنف: لم ترعَ بعد، وكأس أنف استؤنف الشرب بها، الدمن، جمع دمنة وهي السرجين.
يقول: وكأن فارة تاجر أو روضة لم ترعَ بعد وقد زكا نبتُها وسقاه مطر لم يكن معه سرجين وليست هذه الروضة بمعلم تطؤه الدواب والناس. فشبه طيب نكهتها كطيب ريح فارة المسك أو كطيب ريح روضة ناضرة لم ترعَ ولم يصبها سرجين ينقص طيب ريحها ولا وطِئتها الدواب فينقص نضرتها وطيب ريحها.

(٢) البكر من السحاب: السابق المطر، والجمع الابكار. الحرة: الخالصة من البرد والريح. ويروي أيضاً: جادت عليه كل عين ثرة. العين: مطر أيام لا يقلع. والثرة والثرثار: الكثيرة الماء. القرارة: الحفرة.
يقول: مطرت كل هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها ولا ريح، أو كل مطر يدوم أياماً ويكثر ماؤه حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه.

(٣) السح: الصب والانصباب جميعاً، والفعل سح يسح. التسكاب: السكب. يُقال سكبت الماء اسكبه سكباً، فسكب هو يسكب مسكوباً. =

وَخَلاَ الذُّبَابُ بِهَا فليس ببارحٍ
غرِداً كفِعْلِ الشاربِ المُترنِّمِ (١)
هزِجاً يحكُّ ذِراعَهُ بذراعِهِ
قدح المكب على الزِّنادِ الأَجذمِ (٢)
تمسي وتصبحُ فوقَ ظهرِ حشيَّةٍ
وأبيتُ فوق سَرَاةِ أدهمَ مُلجَمِ (٣)
وَحَشيّتي سرجٌ على عَبْلِ الشَّوَى
نَهْدٍ مراكِلُهُ نبيلِ المحْزِمِ (٤)

= التصرم الانقطاع. يقول: اصابها المطر الجود صباً وسكباً فكل عشية يجري عليها ماء السحاب ولم ينقطع عنها.

(١) البراح: الزوال. التغريد: التصويت. الترنم: ترديد الصوت بضرب من التلحين.

يقول: وخلت الذباب بهذه الروضة فلا يزايلنها ويصوتن تصويت شارب الخمر حين رجع صوته بالغناء.

(٢) هزجاً: مصوتاً. المكب: المقبل على الشيء. الأجذم الناقص اليد.
يقول: يصوت بها الذباب حال حكه احدى ذراعيه بالأخرى مثل قدح رجل ناقص اليد أقبل على قدح النار، شبه حكه احدى يديه بالأخرى بقدح رجل ناقص اليد من الزندين للنار.

(٣) السراة: أعلىَ الظهر.

يقول: تصبح وتمسي حبيبتي فوق فراش وطيء مُريح وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم أي أنها هي تتنعم وأنا اقاسي شدائد الأسفار والحروب.

(٤) الحشية من الثياب: ما حشي بقطن أو صوف أو غيرهما، والجمع الحشايا. العبل: الغليظ. الشوي: الأطراف والقوائم. النهد: الضخم =

هـل تُـبْـلغَـنِّـي دارهـا شَـدنـيَّـةٌ
لُـعنتْ بـمحـرُومِ الـشَّـرَاب مُـصَـرَّمِ [(١)]

خـطارَةٌ غِـبَّ الـسُّـرى زَيَّـافـةٌ
تَـطِسُ الإكـامِ بـوَخـذِ خُـفٍّ مِـيـثَـمِ [(٢)]

= المصرف. المراكل: جمع المركل وهو موضع الركل، والركل: الضرب بالرجل. النبيل: السمين. المحزم: موضع الحزام من جسم الدابة.

يقول: وحشيتي أي فراشي سرج على فرس غليظ القوائم والأطراف ضخم الجنبين منتفخهما سمين موضع الحزام. يريد أنه يستوطىء هو سرج الفرس كما يستوطىء غيره الحشية والفراش ويلازم ركوب الخيل لزوم غيره الجلوس على الحشية والاضطجاع عليها، ثم وصف الفرس بأوصاف يحمدونها وهي: غلظ القوائم، وانتفاخ الجنبين وسمنهما.

(١) شدن: أرض أو قبيلة تنسب الإبل إليها. أراد بالشراب اللبن. التصريم: القطع.

يقول: هل تبلغني دار الحبيبة ناقة شدنية لعنت أي دعى عليها بأن تُحرم اللبن ويقطع لبنها، أي لبعد عهدها باللقاح والحبل، كأنها قد دُعيَ عليها بأن تُحرم اللبن فاستجيب ذلك الدعاء، وإنما شرط الشاعر هذا لتكون أقوى وأسمن وأصبر على معاناة الشدائد والأسفار لأن كثرة الحمل والولادة تكسبها ضعفاً وهزالاً.

(٢) يقال: خطر البعير بذنبه يخطر خطراً إذا حركة مرحاً. الزيف التبختر. الوطس والوثم: الكسر.

يقول: هي رافعة ذنبها في سيرها مرحاً ونشاطاً بعدما سارت الليل كله متبخترة تكسر الآكام بخفها الكثير انكسر للأشياء. الوخد والوخدان: السير السريع. الميثم: للمبالغة كأنه آلة الوثم، أي آلة تستعمل لكسر الأشياء.

وكــأنــمــا تَــطِسُ الإكــامَ عــشــيَّــةً
بِقَــريـبِ بيـن الـمَـنْـسِـمَيـن مُـصَـلَّمِ (١)

تــأوي لَــهُ قُــلُصُ الــنَّـعـام كـمـا أوتْ
حِــزَقٌ يــمــانــيــةٌ لأعــجَــمَ طِــمْــطِـمِ (٢)

يــتــبــعــنَ قُــلَّةَ رأســهِ وكــأنَّــهُ
حِــدْجٌ عــلى نَـعْشٍ لَــهُـنَ مُـخَـيَّــمِ (٣)

---

(١) المصلم: من أوصاف الظليم (ذكـر النعام) لأنـه لا اذن له، والصلم الاستئصال، كأنه أذنه استؤصلت.

يقول: كأنما تكسر الإكام لشدة وطئها عشية بعد سُر الليل وسير النهار، شبه ناقته في سرعة سيرها بذكر النعام. ثم ترك المشبه «الناقة» وأخذ يصف المشبه به (الظليم) فإذا هو قريب بين المنسمين أي ليس بفارق بينهما. والمنسمان: الظفران المقدَّمانٰ في قائمته، فإذا كانا بعيدين قيل: منسم أفرق أي بعيد. وقربهما أصلب لقائمته.

(٢) القُلُصُ: جمع قلُوص: وهو ولد النعام. الحِزق والحزائق: الجماعات من الابل. الأعجم: الغريب عن العرب. أراد به الحبشي: الطمطم: الذي لا يُفهم.

يقول: إن هذا الظليم ينقنق لصغار النعام فتأوي إليه مسرعةً، كما تأوي جماعات الإبل اليمنية لراعٍ حبشي لا يفصح. لقد شبه الظليم بالحبشي لسوادة، واتخذ الإبل اليمانيةَ لأن السواد فيها أكثر.

(٣) قلة الرأس: اعلاه. الحدج: مركب من مراكب النساء يوضع على ظهر الإبل. النعش: الشيء المرفوع، المخيم المجعول خيمة.

يقول: تتبع هؤلاء النعام أعلى رأس هذا الظليم، أي جعلته نصب أعينها لا تنحرف عنه، ثم شبه خلقه بمركب من مراكب النساء جُعل كالخيمة فوق مكان مرتفع.

صَعْــلٍ يَعُــودُ بــذي الـعُـشَـيَـرَةَ بـيـضَــهُ
كــالعبـدِ ذي الفــروِ الـطـويـلِ الأَصلمِ [1]
شــربـت بـمــاءِ الــدُّحـرُضـينِ فــأصبحـتْ
زوراءَ تـنـفــرُ عــن حـيــاضِ الــدَّيــلمِ [2]
وكــأنَّــمــا تــنــأى بــجــانــبِ دَفَّــهــا الــ
ــوحشـيّ مــن هــزجِ الـعــشـيّ مُــؤوَّمِ [3]

---

(١) الصعل والأصعل: الصغير الرأس. يعود: يتعهد. الأصلم: الذي لا أُذن له، لقد شبه الظليم بعبدٍ لبس فرواً طويلاً ولا أذن له لأنه لا أذن للنعام، وشرط الفرو الطويل ليشبه جناحيه، وشرط العبد لسواد الظليم، وعبيد العرب السودان، ذو العشيرة: اسم موضع.

(٢) الدحرضين: الباء بمعنى من. والدحرضين: موضع. زوراء: مائلة. الديلم: مياه لبني سعد، وقيل: أن العرب تسمي الأعداء ديلماً لأن الديلم صنف من اعدائها.
يقول: شربت هذه الناقة من مياه الدحرضين فأصبحت مائلة نافرة عن شرب مياه الأعداء.

(٣) تنأى: تبعد. الدف: الجنب. الوحشي: الأيمن، ويُسمى الجنب الأيمن من البهائم وحشياً، لأنه لا يُركب من ولا يُنزل، وبعكسه الجانب الآخر فإنه يُسمى إنسيَّاً. الهزج: المصوِّت، وكنى بهزج العشي عن الهرِّ لأن أكثر ما يكون مواء السنانير بالعشي، وقت الطعام. مؤَوَّم: قبيح الرأس كبيره، صفة للهر.
يقول: كأن هذه الناقة تبعد وتنحي الجانب الأيمن منها من خوف هِرٍّ عظيم الرأس قبيحه، وبالتالي يصف هذه الناقة بالنشاط في السير وأنها لا تستقيم في سيرها نشاطاً ومرحاً فإنها تُنحي جانبها الأيمن خوف خدش سنور إياها.

هِـرٍّ جَـنـيـبٍ كُـلَّمـا عـطفـتْ لَـهُ
غـضبى اتَّقَـاهَـا بـالـيـدين وبـالـفَـمِ (١)
بـركـتْ عـلى جـنـبِ الـرِّدَاعِ كـأنـمـا
بـركـتْ عـلى قـصـبَ أجشَّ مُـهـضَّـمِ (٢)

---

(١) هِرٍّ: بدل من هزج العشي. حنيب: أي مربوط إلى جنبها. اتقاها: اي استقبلها.

يقول: تتنحى وتتباعد من خوف سنور كلما انصرفت الناقة غضبى لتعقره استقبلها الهر بالخدش بيده والعض بفمه، أي كلما أمالت رأسها إليه زادها خدشاً وعضاً.

أبـقـى لـهـا طُـولُ الـسِـفـار مُـقـرمـداً
سـنـداً، ومِـثْـلَ دعـائـمِ الـمـتـخـيَّـمِ

المقرمد: المبني بالقرميد وهو الآجرّ: وهو صفة سنام المحذوف، أراد أن لها سناماً متماسك الأجزاء لزم بعضه بعضاً. سنداً: عالياً. المتخيم: ما يُتخذ خيمةً. أراد أن هذه الناقة لم يتعبها طول السفر بل ترك عليها سناماً عالياً كالقرميد، وقوائم كأنها دعائم الخيمة. ـ وهذا البيت لم يورده الزوزني في شرحه. ولهذا وضعناه هنا.

(٢) رداع: اسم موضع. أجش: له صوت خشن. مهضم أي مكسر.

يقول: كأنما بركت هذه الناقة وقت بروكها على جنب الرداع على قصب مكسر له صوت، شبه انينها من تعبها وكلالها بصوت القصب المكسر عند بروكها عليه. وقيل: بل شبه تكسر الطين اليابس الذي نضب عنه الماء بصوت تكسر القصب. بل ربما أراد تشبيه صوت أعضاء هذه الناقة الباركة من التعب بصوت تكسير القصب.

وكــأَنَّ رُبّــاً أو كُــحَــيْــلاً مــعــقــداً
حَشَّ الــوقــودُ بــهِ جــوانــبَ قُــمْــقُــمِ[1]
يَــنْــبَــاعُ مــن ذِفــرَى غَــضُــوبٍ جَــســرَةٍ
زَيَّــافَــةٍ مِــثْــلَ الــفَــنــيــقِ الــمُــكْــدَمِ[2]
إنَّ تُــغْــدِ فــي دُونــي الــقِــنَــاعَ فــإنــنــي
طَــبٌّ بــأخــذ الــفــارسِ الــمُــسْــتَــلئــمِ[3]

---

(١) الرُّب: الدبس، أو الطلا. الكحيل: القطران. المُعقد: الذي أوقد تحته حتى انعقد وغلظ. حُشَّ: أوقد. الوقود: الحطب. المعنى: يصف عَرَقَ ناقته فيشبهه بالدبس أو الطلا أو القطران الغليظ الذي يسيل من القمقم، إذا أُوقد تحته النار.

(٢) ينباع: قال الزوزني: أراد ينبع فأشبع الفتحة لاقامة الوزن فتولد منها ألف.
وقال ابن الأعرابي: ينباع: ينفعل من باع يبوع: مرَّ مرّاً ليناً فيه تلوٍّ، وهو من صفة سيل السائل إذا كان غليظاً. الذِفري: عِرْقٌ وراء الأُذن، أول ما يعرق البعير منه، وهما ذِفران. الغضوب: مبالغة من الغضب، صفة الناقة المحذوفة. الجسرة: الموثقة الخلق، الماضية في سيرها. الزيَّافة المسرعة، المتبخترة في السير. الفنيق: الفحل من الجمال. المكدم: الذي كدمته الفحول من كثرة العراك معها. وشبهها في قوتها وضخامتها بالفحل، بعد أن قال: يسيل العرق عن رقبتها متلوياً لكثافته.

(٣) أغدف الستر: أرخاه. طب: حاذق عالم. المستلئم: لابس اللأمة أي الدرع ـ يخاطب عبلة فيقول: لِمَ ترخين قناعك فتسترين وجهك عني؟ ألستُ البطل الشديد الحاذق بأخذ الأبطال المتدرعين فأحميك من السبي؟. وقيل بل أراد: إذا لم اعجز عن صيد الفرسان المتدرعين فكيف اعجز اذن عن صيدك أنتِ.

أثـني عـليَّ بـمـا عـلمـتِ، فـإنَّـنـي
سَـهْـلٌ مُـخـالـقـتـي إذَا لــم أُظـلـمِ (١)

فـإذا ظُـلِمـتُ، فـإنَّ ظُـلـمِـيَ بـاسِـلٌ،
مُـرٌّ مـذاقـتُـهُ كـطعـمِ الـعـلقـمِ (٢)

ولـقـد شـربتُ من الـمُـدامـةِ، بـعـدمـا
رَكَـدَ الـهـواجـرُ، بـالمشُـوفِ المُعْلَمِ (٣)

---

(١) المخالقة: المعاملة مع الناس والمخالطة، من الخلق. فإذا رآك الناس وقد سترتِ وجهك دوني توهموا إنك قد استقللتني واحتقرتني، وأنا مستحق لخلاف هذا منك.
فامدحيني بما أنا أهله بما عرفتِ من خسن أخلاقي فإني سهل المعاشرة، إذا لم يظلمني أحد.

(٢) باسل: كريه، ورجل باسل: شجاع، والبسالة الشجاعة.
يقول: وإذا ظلمتُ وجدتُ ظلمي كريهاً مراً كطعم العلقم، أي من ظلمني عاقبته عقاباً شديداً بالغاً يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه.

(٣) ركد: سكن. الهواجر: جمع هاجرة وهي أشد أوقات النهار حرًّا.
المشوف: المَجْلُو المدامة: الخمر، سميت كذلك لأنها أُديمت في دنها.
المُعْلَم: الذي فيه كتابه، المنقوش يقول: ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر وسكونها بالدينار المجلو المنقوش، يريد أنه اشترى الخمر فشربها، وكانت العرب تفتخر بشرب الخمر والقمار، لأنهما من دلائل الجود عندها. وقوله: بالمشوف، أي بالدينار المشوف أي المجلو، ومنهم من جعله صفة القدح وقال: أراد بالقدح المشوف.

بـزجـاجــةٍ صــفــراءَ، ذاتِ أَسِــرَّةٍ
قُــرِنتْ بـأَزهَــرَ، في الشمــال ِ، مُفَــدَّم ِ [(١)]

فــإذا شَــرِبــتُ، فــإنَّــنـي مُـسـتـهــلكٌ
مــالـي، وعِــرِضـي وافِــرٌ لــم يُـكْــلَم ِ [(٢)]

وإذا صــحــوتُ، فمــا أُقَـصِــرُ عــن نــدى؛
وكـمــا عـلمتِ شـمــائـلي وتـكــرُّمــي [(٣)]

وحَــليــل ِ غــانــيــةٍ تــركــتُ مُـجَــدَّلاً
تـمـكــو فَــريـصَـتُــهُ كـشِــدْقِ الأَعـلم ِ [(٤)]

---

(١) بزجاجة: متعلق بشربت: ذات أسرة: أي ذات طرائق وخطوط، أي مخططة. بأزهر أي بابريق أزهر: أبيض مشرق اللون، أراد أنه من فضة.
مفدم: مسدود الرأس بالفدم أي بالمصفاة.
يقول: أنه يصب الخمر المصفّاة من ذاك الابريق الابيض في كأسه المخططة.

(٢) العِرض: موضع المدح والذم من الانسان. وافر: تام. لم يُكلم: أي لم يؤثر به ذمٌ، لم يجرح.

(٣) الشمائل: الأخلاق. وصف في البيت السابق أنه، إذا سكر يُكثر من العطايا حتى أنه يستهلك ماله، ثم استدرك قائلاً: أما عرضه فيظل تاماً لم ينثلم. لئلا يظن السامع أنه يستهلك عرضه، أي شرفه أيضاً في حالة السكر، كما قد يفعل بعض شرَّاب الخمر. ثم استدرك على كل ذلك أيضاً في البيت الثاني قائلاً: أنه يظل على كرمه وحسن أخلاقه المعروفة في حال صحوه. وهذا لئلا يسبق إلى ذهن السامع إن ذاك الكرم قد يكون من مفعول السكر، فيتركه الشاعر إذا ما صحا.

(٤) الحليل: الزوج. الغانية الشابة المستغنية بجمالها عن التزيين. مجدلاً: =

سبقتْ يداي لَهُ بعاجلِ طعنةٍ
وَرَشاشِ نافِذَةٍ كلونِ العندَمِ (١)
هَلاَّ سألتِ الخيلَ، يا ابنة مالكٍ،
إن كُنت جاهِلَةً؛ بما لم تعْلَمي (٢)
إذ لا أزال على رِحَالة سابح
نهدٍ، تَعَاوَرُهُ الكُماةُ، مُكَلَّمِ (٣)

= مطروحاً على الجدالة. وهي الأرض. تمكو: تَصْفُرُ من المكاء أي الصفير. الفريصة: العضلة التي في مرجع الكتف ترتجف عند الفزع. الأعلم: المشقوق الشفة العليا. قيل: أنه شبه سعة الطعنة بسعة شدق الأعلم. وقيل: بل شبَّه صوت انصباب الدم بصوت خروج النفس من بين شفتي الأعلم.

(١) الرشاش: ما تتطاير وتفرق من الدم. النافذة: الطعنة التي نفذت إلى الجوف. العندم: صبغ أحمر اللون.
يقول: طعنته طعنة في عجلة ترشى دماً من طعنة نافذة تحكي لون العندم.

(٢) هلاّ: اداة تحضيض، وجمهور النحاة يرى على أنها إذا دخلت الماضي كانت للوم خصوصاً. ابنة مالك: عبلة.
يقول: هلا سألت الفرسان عن حالي في قتالي إن كنت جاهله بها؟.

(٣) الرحالة: سرج يوضع على ظهر الجواد كان يُعمل من جلود الشاة. السابح: الجواد السريع في جريه. النهد: الغليظ. تعاوره: تتناوبه أي يطعنه هذا مرة وهذا مرة وأصلها تتعاوره. الكماة: جمع كميٍّ: البطل الشاكي السلاح. مكلّم: مجرح.
يقول: هلا سألتِ الفرسان عن حالي إذ لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الأبطال في جرحه، أي جرحه كلُ منهم، ونهد من صفة السابح أي الجواد وهو الضخم.

طوراً يُجَرَّدُ للطِّعانِ، وتارةً
يأوي إلى حَصِدِ القِسِيِ عَرَمْرَمِ (١)

يُخَبْركِ من شهدَ الوقيعةَ أنني
أغشَى الوغى، وأعِفُّ عند المَغْنَمِ (٢)

ومُدَجَّجٍ كره الكُماةُ نِزالهُ،
لا مُمْعِنٍ هرباً، ولا مُسْتَسلِمِ (٣)

---

(١) يجرد للطعان: أي اجرِّده من صفوف العساكر، وأبرز به لطعان الأعداء. ثم أعود به منضماً إلى فرسان قِسيُّهم حصِدة، أي كثيرة، وعددهم عرمرم: أي وافر.
يقول: مرة اخرج به من بين صفوف عسكرنا لطعن الأعداء وضربهم ثم أعود لانضم إلى قوم محكمي القسي وكثر عددهم. وحصد الشيء حصداً إذا استحكم، والإحصاد. الإحكام.

(٢) شهد: حضر. الوقيعة: المعركة. اغشى: اقتحم. الوغى: صوت المقاتلة وجلبة أهل الحرب، أراد به المعركة أيضاً. اعف: اترفّع.
يقول: إن سألت الأبطال اخبروك اني أخوض المعمعة، ولكني اتراجع عند اقتسام الغنائم، فاترك نصيبي للناس.

(٣) المدجج: الذي استتر كله بالسلاح، التام السلاح. الإمعان: الاسراع في الشيء والغلو فيه. الإستسلام الانقياد والاستكانة.
يقول: رجل تام السلاح كانت الأبطال تتحاشاه وتكره نزاله وقتاله لفرط بأسه وصدق مراسه لا يسرع في الهرب إذا اشتد بأس عدوه ولا يستكين له إذا صدق مراسه.

جـادتْ لَـهُ كَـفّـي بـعـاجـل طـعـنـةٍ
بـمُثـقَّفٍ، صَـدْقِ الـكُـعُـوبِ، مُـقَـوَّمِ (١)

بِـرحِيبـةِ الـفَـرْغيـنِ، يَهْـدِي جَـرسُـهـا،
بـالـليـلِ، مُعْـتَسَّ الـذِّئـابِ الـضُّـرَّمِ (٢)

فـشـككـتُ بـالـرُّمـحِ الأَصـمِ ثـيـابَـه،
لـيس الكَـرِيـمُ على الـقَـنـا بـمُـحَـرَّمِ (٣)

---

(١) المثقف: صفة الرمح. صدق: صلب، قاسي. الكعوب: عُقد الأنابيب في قناة الرمح.

(٢) الرحيبة: الواسعة. الفرغان: مثنى فرْغ: وهو مَخرج الماء من الدلو. أراد بذلك أن يصف كثرة الدم من هذه الطعنة، وشدة اندفاعه من الجرح، فشبهه بمصب الدلو. يهدي: يدل: جرسها: صوتها. المعتس: الطالب، المبتغي. الضُرَّم: الجياع.

يقول: جرحته بها جرحاً واسعاً يتدفق منه الدم، كما يتدفق الماء من الدلو، فيسمع له خرير يهدي في سكون الليل الذئاب الجائعة. وهذا البيت لم يرد في شرح الزوزني.

(٣) الأصم: الصلب. الشك: الانتظام. أراد نظمتُ ثيابه بالرمح أي انفذته من جسمه وثيابه كلِّها.

يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه، أي طعنته طعنة انفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها، ثم قال: ليس الكريم محرماً على الرماح، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الاقدام، وقيل: بل معناه أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له.

فتركْتُهُ جزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ
يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانِهِ، والمِعْصَمِ (١)

وَمِشَلٍّ سابغةٍ هتكتُ فُرُوجَها
بالسيف عن حامي الحقيقةِ مُعلِمِ (٢)

رَبِذٍ يداهُ بالقِداحِ إذا شَتا
هتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ (٣)

---

(١) الجزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح. النوش: التناول. القضم: الأكل بمقدم الأسنان.
يقول: فصيرته طعمه للسباع كما يكون الجزر طعمه للناس، ثم قال: تتناوله السباع وتأكل بمقدم اسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن.

(٢) السابغة: الدرع الطويلة. مشكها: نسيجها أو المسامير التي تكون في حلقها. هتكت: قطعت وخرقت. فروجها: حلقاتها. الحامي: المانع. الحقيقة: ما يحق أي ما يجب عليك حفظه. المعُلَم: الذي يُشار إليه ويُدلُّ عليه بأنه فارس الكتيبة.

(٣) الربذ: السريع. شتا: دخل في الشتاء. الغايات، جمع غاية: الراية يرفعها الخمَّار على باب حانوتة ليُعرف مكانه. التجار، جمع تاجر: أراد بهم الخمَّارين. مُلَوَّم ليم مرة بعد أخرة.
يقول: رب درع محكمة السرد، قطعت حلقاتها عن رجل شريف حامٍ للحرمات ومشهور ببطشه في الحروب، وهو مع هذا حاذق بلعب القمار خفيف اليد باجالة قداحة في فصل الشتاء،يشرب الخمر ويسقيها لندمائه حتى أنه يشتري كل ما عند الخمارين فيجرهم إلى رفع راياتهم لنفاد خمرهم. ولذلك فهو يُلام على اسرافه في البذل. وقد خص الشتاء لأنه فصل الراحة عند العرب، كانوا يكفون فيه عن الغزو فينصرفون إلى اللهو ولعب القمار.

لَـمَّـا رَآنـي قـد نَـزَلْـتُ أُرِيـدُهُ
أبـدى نـواجـذَهُ لـغـيـر تَـبَـسُّـمِ (١)

فـطعـنْـتُـهُ بـالـرُّمـحِ، ثـم عَـلوْتُـهُ
بـمُهـنَّـدٍ صـافي الـحـديـدةِ مِـخْـذَمِ (٢)

عَـهـدي بـه، مَـدَّ الـنـهـارِ، كـأنـمـا
خُـضِـبَ الـبَـنـانُ ورأسُـه بـالـعِـظْلِمِ (٣)

بَـطَلٌ كـأنَّ ثـيـابَـهُ فـي سَـرْحَـةٍ،
يُـحْـذى نِعـالَ الـسبـتِ، لـيس بـتـوأمِ (٤)

---

(١) النواجذ: جمع ناجذ: آخر الأضراس. أي تجَّهم في وجهي، وكشر عن بقايا أسنانه، ولم يكن ذلك تبسماً منه. ولكن لشدة خوفه.

(٢) مهنَّد: صفة السيف المصنوع في الهند. مِخذَم: قاطع.
يقول: طعنته برمحي حتى القيته عن ظهر فرسه ثم ضربته بالسيف...

(٣) مد النهار: طول النهار. العظلم: نبت يختضب به. العهد: اللقاء.
يقول: رأيته طول النهار وامتداده بعد قتلي إياه وجفاف الدم عليه كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت.

(٤) السرحة: الشجرة العظيمة. يحذى أي تجعل حذاء له. والحذاء: النعل، والجمع الأحذية يقول: وهو بطل مديد القوم كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته واستواء خلقه تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرظ نعالاً له، أي تستوعب رجلاه السبت، وهو (الجلد المدبوغ). ولم تحمل أمه معه غيره، بالغ في وصفه بالشدة والقوة بامتداد قامته وعظم اعضائه وتمام غذائه عند ارضاعه، إذ كان فذاً غير توأم.

يـا شَـاةُ ما قـنص لـمـن حُـلَّتْ لـه
حَـرُمتْ علـيَّ وليتـهـا لم تَـحْـرُمِ (١)
فـبعـثتُ جـاريتي فـقـلتُ لـهـا اذهبـي
فـتـجسَّسي أخـبـارَهـا لـيَ واعـلمـي (٢)
قـالـتْ رأيـتُ مـن الأَعـادي غِـرَّةً
والـشـاةُ مـمكـنـةٌ لـمِنْ هُـوَ مُـرْتَـمِ (٣)
وكـأنَّـمـا الـتـفـتْ بـجـيـدِ جَـدَايـةٍ
رشـأٍ مـن الـغـزلان حُـرٍّ أَرْثَـمِ (٤)

---

(١) الشاة: كناية عن المرأة.
يقول: يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها فإنها قد حازت أتم الجمال، ولكنها حرمت علي وليتها لم تحرم علي . . .
أراد أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح.
أو أنها زوجت لرجل آخر فحرمت عليه.

(٢) يقول: فبعثت جاريتي لتتعرف احوالها لي.

(٣) الغرة: الغفلة، رجل غر أي غافل لم يجرب الأمور.
يقول: فقالت جاريتي، لما انصرفت، لي. صادفت الأعادي غافلين عنها ورمي الشاة ممكن لمن أراد أن يرتميها، يريد أن زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء والقرناء عنها.

(٤) الجداية: ولد الظبية، الجمع الجدايا. الرشأ: الذي قوي من اولاد الظباء. والغزلان جمع الغزال. الحر من كل شيء: خالصه وجيده.
الأرثم: الذي في شفته العليا وانفه بياض.
يقول: كأن التفاتها إلينا في نظرها التفات ولد ظبية هذه صفته في نظره.

نُبِّئْتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي

والكُفْرُ مَخْبَثةٌ لنَفْسِ المُنْعِمِ (١)

ولقد حفظتُ وَصَاةَ عمي بالضُّحى

إذ تَقْلِصُ الشفتانِ عن وضحِ الفَمِ (٢)

في حَومةِ الحربِ التي لا تشتكي

غمراتها الأَبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ (٣)

---

(١) التنبئة والتنبيء: مثل الأنباء، وهذه من سبعة افعال تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، وهي اعلمت وأريت وأنبأت ونبأت وأخبرت وحدثت.

يقول: اعلمت أن عمراً لا يشكر نعمتي، وكفران النعمة ينفر نفس المنعم عن الأنعام، فالياء في نبئت هو المفعول الأول قد اقيم مقام الفاعل واسند الفعل إليه، وعمراً هو المفعول الثاني، وغير هو المفعول الثالث.

(٢) الوصاة والوصية شيء واحد. وضح الفم: الأسنان. التقلوص: التشنج والقصر.

يقول: ولقد حفظت وصية عمي إياي باقتحامي القتال ومناجرتي الأبطال في أشد أحوال الحرب وهي حال تقلص الشفاه عن الأسنان من شدة كلوح الأبطال والكماة خوفاً من القتل.

(٣) حومة الحزب: معظمها وهي حيث تحوم الحرب أي تدور، وغمرات الحرب: شدائدها التي تغمر أصحابها، أي تغلب قلوبهم وعقولهم. التغمغم: صاح ولجب لا يفهم منه شيء.

يقول: ولقد حفظت وصية عمي في حومة الحرب التي لا تشكوها الأبطال إلاّ بجلبة وصياح.

إذ يــتــقُــونَ بِــيَ الأَسِــنَّــةَ لــم أخِــم
عــنهــا وَلـكِـنِي تَـضـايَـقَ مُـقْـدَمِـي [1]

لــمــا رَأَيـتُ الــقَــوْمَ أَقـبـلَ جَـمْـعُـهُـمْ
يــتــذامــرونَ كَــرَرتُ غــيــرَ مُــذَمَّــمِ [2]

يــدعــونَ عــنــتــرَ والــرِّمــاحُ كـأَنَّــهــا
اشــطانُ بئــرٍ فــي لَــبَــانِ الأَدْهَــمِ [3]

مــا زلــتُ ارمــيــهِــمْ بــثُــغْــرَةِ نــحــرِهِ
وَلــبــانــه حــتــى تــســربَــلَ بــالــدَّمِ [4]

---

(١) الاتقاء: الحجز بين الشيئين، نقول: مثلاً: اتقيت العدو بترسي، أي جعلتُ الترس حاجزاً بيني وبين العدو. أخم: أجبن. المقدم: موضع الاقدام.
يقول: حين جعلني أصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة اعد عدائهم، لم أجبن عن اسنتهم ولم اتأخر ولكن قد تضايق موضع اقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك.

(٢) التذامر: وهو الحض على القتال. مذمم: مذموم، عكس محمود.
يقول: لما رأيت الأعداء قد اقبلوا نحونا يحض بعضهم بعضاً على قتالنا عطفت عليهم لقتالهم غير مذمم، أي محمود القتال غير مذمومه.

(٣) الشطن: الحبل الذي يستقى به من البئر، والجمع الأشطان. اللبان: الصدر.
يقول: كانوا يدعونني في حال إصابة رماح الأعداء صدر فرسي ودخولها فيه، ثم شبهها في طولها بالحبال التي يستقي بها من الآبار.

(٤) الثغرة: الوقبة في أعلى النحر، والجمع الثُغُر.

فــازورَّ مــن وقــع الــقــنــا بــلــبــانــهِ
وشــكــا إلــيَّ بــعــبــرةٍ وتــحــمــحــم[1]

لــو كــان يَــدْري مــا الــمــحــاورةُ اشــتــكــى
ولــكــانَ لَــوْ عــلمَ الــكــلامَ مُــكَــلِّمــي [2]

ولــقــد شَــفــى نَــفــسي وأذهــب سُــقْــمَــهــا
قِــيــلُ الفــوارسِ وَيــكَ عــنــتــرَ أقــدمِ [3]

والــخــيــلُ تــقــتــحــم الــخَــبَــارَ عــوابــســاً
مــن بــيــنِ شــيــظــمــةٍ وآخــر شــيــظــمِ [4]

= يقول: لم أزل أرمي الأعداء بنحر فرسي حتى جرح وتلطخ بالدم وصار الدم له بمنزلة السربال (الثوب)، أي عم جسده عموم السربال جسد لابسه.

(١) الازورار: الميل. التحمحم: من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له.

يقول: مال فرسي مما اصابت رماح الأعداء صدره ووقوعها به وشكا إليَّ بعبرته وصحمحته، أي نظر إليَّ وحمحم لأرق له.

(٢) يقول: لو كان يعلم الخطاب لاشتكى إليَّ مما يقاسيه ويعانيه ولكلمني لو كان يعلم الكلام، يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا إليَّ مما اصابه من الجراح.

(٣) يقول: ولقد شفى نفسي واذهب سقمها قول الفوارس لي: ويلك يا عنترة أقدم نحو العدو واحمل عليه، يريد أن إتكال اصحابه وتعويلهم عليه في القتال والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه وأذهب همه.

(٤) الخبار: الأرض اللينة. الشيظم: الطويل من الخيل.

ذُلَــلٌ رِكــابـي حيــثَ شِئتُ مــشــايعــي
لُــبِّــي وأَحــفِــزُهُ بــأمــرٍ مُــبــرَمِ (١)

ولــقــد خشــيــتُ بــأن أمــوتَ ولــم تــدُرْ
لــلحــربِ دائــرَةٌ على ابــنــيْ ضــمــضــمِ (٢)

الــشــاتــميْ عِــرضــي ولــم أشــتــمهــمــا
والــنَّــاذِرَيــنِ إذا لــم الــقَــهُــمــا دَمــي (٣)

= يقول: والخيل تسير وتجري في الأرض اللينة التي تسوخ فيها قوائمها بشدة وصعوبة وقد عبست وجوهها لما نالها من الأعياء وهي لا تخلو من فرس طويل أو طويلة.

(١) ذلل: جمع ذلول من الذل وهو ضد الصعوبة أي سهل هين، الركاب: الإبل، لا واحد لها من لفظها عند جمهور الأئمة، وقال الفراء: أنها جمع زكوب مثل قلوص وقلاص ولقوح ولقاح. المشايعة: المعاونة، أخذت من الشياع وهو «دقاق الحطب» لمعاونته النار على الاشتعال في الحطب الجزل. الحفز: الدفع. الابرام: الإحكام. لبي: عقلي.
يقول: تطيعني إبلي حيث وجهتها من البلاد، ويعاونني على افعالي عقلي وامضي ما يقتضيه عقلي بأمر محكم.

(٢) الدائرة: اسم للحادثة، سميت بها لأنها تدور من خير إلى شر ومن شر إلى خير، ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة.
يقول: ولقد أخاف أن اموتَ ولم تدر الحرب على ابنيْ ضمضم، بما يكرهانه وهما: «حِصين وهرم إبنا ضمضم».

(٣) يقول: اللذان يشتمان عرضي ولم اشتمهما والموجبان على انفسهما سفك دمي إذا لم أراهما، يريد أنهما يتوعدانه حين غيبته فأما في حين الحضور فلا يتجاسران عليه.

إن يَـفْـعَـلا فـلقـدْ تـركـتُ أبَـاهُـمَـا
جَـزَرَ الـسِّـبَـاعِ وكـلِّ نـسـرٍ قـشـعَـمِ [1]

(١) يقول: أن يشتماني لم استغرب منهما ذلك فإني قتلت أباهما وصيرته جزر السباع وكل نسر مُسن. أي جعله طعاماً للسباع الضارية، وللنسور الكبيرة السن.

مختارات من شعره

خير من معمٍّ مخول

غزت بنو عبس، وعليهم قيس بن زهير، بني تميم، فغلب هؤلاء، وطردوا العبسيين، فوقف عنترة للعدوّ، ثم لحق بهِ بعض قومه، فدافع عنِ المنهزمين، وحال بينهم وبين رجال تميم حتى لم يصيبوا مدبراً. فلما عرف قيس بالخبر، وكان بين المنهزمين، ساءَه صنيع عنترة، وكبر عليه أن يدافع العبد عن كرام الرجال، فقال: «والله ما حمى الناسِ إلَّا ابنُ السوداء»، يشير إلى زبيبة أم عنترة، وكان قيس أكولاً، فبلغ قوله عنترة، فقال القصيدة التالية، وقد أشار إلى نهم قيس في البيت الثاني عشر منها: حيث يقول:

١ ـ الوقوف على الأطلال:

طـال الـثَّـواءُ عـلى رُسـومِ الـمـنـزلِ،
بـينَ الـلَّكـيـكِ وبـيـنَ ذاتِ الـحَـرْمَـلِ،[1]

---

(١) الثواء: الإقامة. اللكيك وذات الحرمل: موضعان.

فـوقـفـتُ فـي عــرصــاتِـهــا، مـتـحـيــراً،

أسَــلُ الـدِّيَــارَ كفِعــلِ من لم يــذهَــلِ[1]

لـعـبـت بـهــا الأنــواءُ، بـعــد أنـيــسـهــا،

والــرامِـســاتُ، وكــلُّ جــونٍ مُـســبِــلِ[2]

أفَــمِــن بُــكــاءِ حــمــامــةٍ فــي أيْــكَــةٍ

ذرفتْ دُمــوعُـك، فــوق ظهـرِ المحمــلِ،[3]

كــالـدُرِّ، أو فَـضَضِ الجُـمــانِ، تقــطعــتْ

مـنــه عَقَــائِــدُ سِـلكِــهِ، لـم يــوصَــلِ؟[4]

٢ ـ الفخـر:

لــمــا ســمــعــتُ دُعــاءَ مُــرَّة، إذ دَعــا،

ودُعــاءَ عَـبْسٍ، في الــوَغـى، ومُحـلَّلِ،[5]

نــاديتُ عبســاً، فــاسـتـجــابــوا بــالقـنــا،

وبــكــل أبـيض صــارمٍ لــم يــنْــحَــلِ[6]

---

(١) عرصات: ج، عرصة: وهي ساحة الدار. يذهل: يسلو، يترك. اسل: اي افعل في سؤالي الديار فعلَ من لم يسل حبَّهُ.

(٢) الرامسات: الرياح الحاملات الرمل. يريد به السحب السود التي تحمل المطر فتسبلهُ، أي تريقهُ.

(٣) المحمل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب فيه.

(٤) الفضض: المتفرق المنتشر. عقائد: ج. عقيدة: بمعنى معقود.

(٥) محلل بكسر اللام وفتحها.

(٦) القنا: الرماح. والسيف الأبيض: المصقول. ولم ينحل: ولم يشحذ.

حتّى استباحوا آلَ عونٍ عنوةً
بالمَشْرفيِّ، وبالوشيجِ الذُّبَّلِ [1]

إني امرُؤٌ من خيرِ عَبْسٍ منصباً
شطري؛ وأحمي سائري بالْمنْصُلِ [2]

إن يُلْحَقُوا أكْرُرْ، وإن يُستَلحَموا
أشدُدْ، وأن يُلفَوا بضنكٍ أنزِلِ [3]

حينَ النزول يكونُ غايةَ مثْلِنا
ويفرُّ كلُّ مضلَّلٍ مُسْتوهِلِ [4]

ولقد أبيت على الطَّوى، وأَظلَّه،
حتى أَنال بِهِ كريمَ المأكَلِ؛ [5]

---

(١) المشرفي: السيف، نسبة إلى مشارف الشام، والوشيج: شجر الرماح. والذبل: الضامرة.

(٢) المنصب: الأصل والحسب. والمنصل: السيف. يقول: شطري شريف من قبل أبي، فإذا حاربت حميت شطري الآخر من قبل أمي.

(٣) إن يلحقوا: أي إن لحقهم العدو. إن فروا من وجه العدو. يستلحموا يُدركوا، يدركهم العدو، وتشتد عليهم الحرب. يلفوا بضنك: أي إذا دفعوا إلى الدخول في مأزق يضيق بالفرسان لا سبيل إلى المقاتلة فيه إلا على الأقدام، فأنني اترجل.

(٤) يقول: ويكون الترجل إذ ذاك غاية الشجاع، ويفر كل جبان خائر من خوفه.

(٥) الطوى: الجوع. اظلُّهُ: أراد التلميح إلى نهم قيس بن زهير، كما ذكرنا في توطئة القصيدة.

وإذا الـكـتـيـبـةُ أحـجـمـت، وتـلاحـظـت،
أُلـفِـيـتُ خـيـراً مـن مُـعِـمٍ مُـخـولِ [1]

والـخـيـلُ تـعـلمُ، والـفـوارسُ، أنَّـنـي
فـرَّقـتُ جَـمْـعَـهُـمُ بـضـربـةِ فَـيْـصَـلِ [2]

إذ لا أُبـادرُ فـي الـمـضِـيـقِ فـوارسـي،
ولا أُوَكَّـلُ بـالـرَّعـيـلَ الأوَّلِ [3]

ولـقـد غـدوتُ أمـام رايـةِ غـالـبٍ
يـومَ الهيـاجِ، ومـا عـدوتُ بـأعـزَلِ [4]

بَـكَـرَتْ تُـخـوِّفُـنـي الـحُـتـوفَ، كـأنَّـنـي
أصبحتُ عن غَـرضِ الحتـوفِ بمعـزلِ [5]

(١) الكتيبة: الجماعة. أحجمت: تراجعت. تلاحظ القوم: إذا نظر بعضهم إلى بعض بمؤخر العين. يريد يتساءَل الرجال بنظرهم مَنْ يقدم على محاربة العدو.

(٢) الفيصل: السيف، وهي صفة له، أي الذي يفصل الرأس عن البدن أو الروح عن الجسد.

(٣) الرعيل: القطعة من كل شيء، وهنا من الخيل. المعنى: لا أكون أول المنهزمين إذا اضطرتنا الحرب إلى الفرار، بل ابقى متأخراً كي احميهم، وفي هذه الظروف فقط اتأخر عن قيادة أوائل الخيل.

(٤) اعزل: خالٍ من السلاح.

(٥) بكرت: أي عاذلته هي التي بكرت تلومه وتخوفه من الهلاك.

فأجبتُها: إنَّ المنيَّةَ مَنْهَلٌ؛
لا بُدَّ أن أُسقى بكأس المنهلِ[1]

فاقني حياءَكِ، لا أبالكِ، واعلمي
أني امرؤٌ سأَمُوتُ إن لم أُقتَلِ[2]

والخيلُ ساهِمَةُ الوُجوهِ، كأَنَّما
تُسْقى فَوارِسُها نَقيعَ الحنظلِ[3]

وإذا حملتُ على الكريهةِ، لم أقُلْ،
بَعدَ الكريهةِ: ليتني لم أَفعَلِ[4]

---

(١) المنهل: المورد.

(٢) اقني حياءَك: اي احفظيه، ولا تضيعيه. والمعنى: أي أنه لو أمكن أن تظهر صورة المنية لكانت تتخذ هيئتي. لأني أظهر أمام اعدائي على شكل الموت، وذلك حين ينزلون المنزل الضيق، أي القبر.

(٣) شاهمة: ضامرة متغيرة، كالحة. الحنظل: نبات طعمه مُرٌّ شديد المرورة.

(٤) الكريهة: في الأصل: ما يُكره، وهي هنا الحرب.

الكتيبة الشهباء

١ ـ وصف الكتيبة:

وكـتـيـبـةٍ لَـبَّـسـتُـهـا بـكـتـيـبـةٍ
شـهـبـاءَ، بـاسِـلَةٍ، يُـخـاف رَداهـا(١)
خـرسـاءَ؛ ظـاهِـرَة الأَداة، كـأنَّـهـا
نـارٌ يُـشَـبُّ وَقُـودُهـا بـلَظاهـا(٢)
فـيهـا الـكُـمـاةُ بنـو الـكـمـاةِ كـأنَّـهـمْ،
والـخيـلُ تـعْـثُـرُ فـي الـوغى بـقَـنـاهـا(٣)
شُـهـبٌ بـأيـدي الـقـابـسـيـن، إذا بـدتْ
بـأكُـفِّـهـمْ بَـهَـرَ الـظَّلامَ سـنـاهـا(٤)

---

(١) الشهباء: من الكتائب: العظيمة الكثيرة السلاح.
(٢) الأداة: اراد بها عدة الحرب.
(٣) الكماة: الفرسان. الوغي: الحرب. القنا: الرمح.
(٤) شهب: ج شهاب: عامود من نار. القابسين: ج قابس: الذي يحمل القبس (الشعلة).

صُبرٌ أعدُّوا كلَّ أجرَدَ سابحٍ
ونجيبةٍ ذَبَلَت وخفَّ حَشاها[1]
يَعدونَ بالمُستَلئمينَ، عوابساً
قُوداً، تشكَّى أينها وَوَجاها[2]
يَحْمِلنَ فِتياناً مَدَاعِسَ بالقنا،
وُقُراً، إذا ما الحربُ خَفَّ لِواها[3]

٢ ـ شجاعته:

وَصَحابةٍ شُمِ الأُنوفِ بَعَثْتُهمُ
ليلاً، وقد مالَ الكَرى بطُلاها[4]
وشَرَيْتُ في وَعَثِ الظَّلام، أقودُها،
حتى رأيتُ الشَّمسَ زالَ ضُحاها[5]

---

(١) النجيبة: الكريمة العتيقة من الإبل. ذبلت وخُفَّ حشاها: ضَمُرتْ فصارت اسرع سيراً.

(٢) يعدون: الضمير للخيل. المستلئمين: لابسي اللأمة: عدة الحرب. القود: ج الأقود: الطويل الظهر والعنق من الخيل. الأين: التعب. الوجي: الحفى.

(٣) مداعس: ج. مدِعس: الطَعَّان الذي يطعن بالرمح. وُقُر: أي مثقلين بالحديد.

(٤) الكرى: النُعاس. الطُلى: ج. طُلية وطُلاة: العنق أو أصلها.

(٥) الوعث: الطريق الخشن الغليظ؛ وكل أمر شاق.

ولـقِيـتُ فـي قُبُـلِ الـهـجـيـرِ كـتـيـبـةً،
فـطـعـنـتُ أوَّلَ فـارسٍ أُولاهـا؛[1]
وضـربـتُ قَـرْنـي كَـبْشِـهـا، فـتـجـدَّلا؛
وحَمَلتُ مُهْـرِي وسـطهـا فمضـاهـا،[2]
حـتـى رأيـتُ الـخـيـلَ، بـعـد سـوادِهـا،
حُمْـرَ الجُـلودِ خُضِـبنَ مـن جَـرْحـاهـا[3]
يَـعْثُـرنَ فـي نَقْـعِ الـنـجِـيـعِ، حَـوَافِـلاً
ويـطأْنَ من حَمْي الـوغى، صَـرْعـاهـا[4]
فـرجـعـتُ مـحـمـوداً بـرأسِ عـظـيـمـهـا،
وتـركـتُـهـا جـزراً لِـمَـنْ نـاوَاهـا[5]

٣ ـ سمو أخلاقه وحبه لعبلة:

مـا آسْـتَمْـتُ أُنثى نَفْسَـهـا، فـي مـوطـنٍ
حـتـى أُوفِّـي مَـهْـرَهـا مـولاهـا[6]

---

(١) أول فارس أولاها: أراد أولَ فارسٍ من أُولاها.
(٢) الكبش: القائد. مضاها: قطعها، اجتازها من ناحية لناحية.
(٣) الخضاب: الحناء.
(٤) نقع النجيع: مجتمع الدم المتخثر الضارب إلى السواد. حمي الوغى: احتدام الحرب.
(٥) استمت: من استام فلاناً السلعة: سألهُ سومَها أي تحديد ثمنها. المعنى: =

وَلـمَـا رَزَأْتُ أَخـا حِـفـاظِ سِـلْعَـةً،
إلَّا لَـهُ عـنـدي بـهـا مِـثـلاهـا [1]

أَغـشـى فـتـاةَ الـحـيِّ عـنـد حـلـيـلـهـا،
وإذا غـزا في الجيشِ، لا أَغشـاهـا؛ [2]

وأَغضُّ طـرفـي مـا بَـدَتْ لـي جـارَتـي،
حـتَّـى يُـوارِيَ جَـارَتـي مـأواهـا [3]

إنّـي آمـرُؤٌ سَـمْـحُ الـخليـقـةِ مـاجـدٌ،
لا أُتْـبِـعُ الـنـفسَ الـلجـوج هـواهـا [4]

ولـئـنْ سَـأَلـتَ بـذاكَ عَـبْـلَة، خُـبِّـرت
أَنْ لا أريـد مِـنَ الـنـسـاءِ سِـواهـا [5]

وأُجـيـبُـهـا، إمَّـا دَعَـت لِـعَـظـيـمـةً؛
وأُعـيـنُـهـا، وأَكُـفُّ عـمَّـا سـاهـا [6]

= ما أخذت امرأة قط دون أن أُؤدي مهرها، أي ما يحق لها من المال مقابل الزواج، وهو يُلمِّح إلى عادة سبي النساء في اثناء الحروب والغزوات.

(١) اخو الحفاظ: وذو الحفاظ: الشريف الذي يحافظ على محارمه.

(٢) أغشى: أزور، يريد أنه يزور المرأة بحضور زوجها، أما إذا غاب الزوج فلا يزورها.

(٦) إما: إذا ما. ساها: ساءَها.

عبلة تعجب

١ ـ وصف الفارس البطل:

عجبت عبيلة من فتى متبذل
عاري الأشاجع شاحب كالمنصلِ[1]
شعث المفارق منهج سرباله
لم يدهن حولاً ولم يترجلِ[2]
لا يكتسي إلا الحديد إذا اكتسى
وكذاك كل مغاور مستبسلِ[3]
قد طالما لبس الحديد فإنما
صدأ الحديد بجلده لم يغسلِ[4]

٢ ـ علاقته بعبلة:

فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى
لا خير فيك كأنها لم تحفلِ[5]

---

(١) الأ' اجع: جمع اشجع وهو في اليد والرجل العصب المدود فوق السلام بين الرسغ إلى أصول الأصابع. المنصل: السيف.

(٢) المنهج: البالي. يترجل: يمشط.

(٣) المستبسل: المقدام.

فعجت منها حين زلت عينها
عن ماجد طلق اليدين شمردل[1]

٣ ـ تهديده لها:

لا تصرميني يا عبيل وراجعي
فيَّ البصيرة نظرة المتأمل[2]
فلرب ألمح منك دلاًّ فاعلمي
وأقرّ في الدنيا لعين المجتلي[3]
وصلت حبالي بالذي أنا أهله
من ودها وأنا رخيٌّ المطول[4]

٤ ـ مقومات فخره واعتزازه:

يا عبل كم من غمرةً باشرتها
بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي[5]
فيها لوامع لو شهدت زهاءها
لسلوت بعد تخضب وتكحل[6]

---

(١) شمردل: طويل.
(٢) تصرميني: تهجريني.
(٤) المطول: رسن الدابة.

إمـا تـريـنـي قـد نـحلتُ ومـن يـكـن
غـرضـاً لأطـراف الأسـنـة يـنـحـل[1]

٥ ـ وصف الحصـان:

ولـرب مـشعـلـة وزعـت رعـالـهـا
بـمـقـلص نـهـد الـمـراكـل هـيـكـل[2]
وكـأن مـتـنـيـه إذا جـرَّدتـه
ونـزعـن عـنـه الـجـلَّ متـنـا أيِّـل[3]

---

(١) في رواية الأصمعي توجد هذه الأبيات بعد هذا البيت.

ولـرب أبـلـج مـثـل بـعـلـك بـادن
ضـخـم عـلـى ظـهـر الـجـواد مـهـبـل
غـادرتـه مـتـعـفـراً أوصـالـه
والـقـوم بـيـن مـجـرح ومـجـنـدل
فـيـهـم أخـو ثـقـة يـضـارب تـارة
بـالـمـشـرفـي وتـارة لـم يـنـزل
ورمـاحـنـا تـكـف الـنـجـيـع صـدورهـا
وسـيـوفـنـا . . . فـتـخـتـلـي

والقصيدة في رواية الأصمعي واحد وثلاثون بيتاً.

(٢) المشعلة: بفتح العين يعني خيلاً، والمشعِلة بكسر العين: الغارة، المراكل من الدابة حيث تعمل قدما الراكب. المقلص: الفرس الطويل القوائم. الهيكل: الطويل.

(٣) أيل: وعل.

وله حوافر موثق تركيبها
صم النسور كأنها من جندلِ [1]
فعليه أقتحم الهياجَ تقحماً
فيها وأنقضُّ انقضاض الأجدل!

(١) النسور: جمع نسر بالفتح، وهي لحمة صلبة في باطن الحافر.

المصادر والمراجع

ـ أ ـ

أدباء العرب، في الجاهلية وصدر الاسلام؛ بطرس البستاني، الطبعة الثامنة، دار صادر، بيروت.

أدب العرب: مارون عبود، دار الثقافة بيروت ١٩٦٠.

أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي الدينوري. مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٣٧٧/١٩٥٨.

أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مطبعة مصطفى محمد ١٣٢٧.

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، مطابع دار الفكر بدمشق ١٣٧٩/ ١٩٦٠.

الأعلام، خير الدين الزركلي، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ـ الطبعة الثانية ١٣٧٥/١٩٥١.

الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٥.

- ب -

بعث الشعر الجاهلي، محمد مهدي البصير، مطبعة التفيض الأهلية ببغداد ١٩٣٩.

بلاد العرب، الحسن بن عبد الله الأصبهاني، دار اليمامة بالرياض ١٩٦٨.

بلوغ الأرب، محمود شكري الألوسي، مطبعة بغداد ١٣١٤.

البيان والتبيين، أبو عثمان بن حجر الجاحظ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩/ ١٩٥٠.

- ت -

تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، مطبعة دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧.

تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، مطبعة الاعتماد ١٣٤٧/١٩٢٨.

تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٩.

تاريخ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف ـ الطبعة الثانية ١٩٦٥.

تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ١٣٨٥/ ١٩٦٥.

تاريخ العرب (مطول)، فيليب حتي، دار الكشاف بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٩٦١.

تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠.
تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مطبعة الاستقامة ١٣٥٧/١٩٢٩.

- ج -

جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥/١٩٥٦.
جغرافية شبه جزيرة العرب، عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية ١٩٤٤.
جغرافية شبه جزيرة العرب، محمود طه أبو العلا، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٥.
جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، المطبعة الرحمانية ١٣٤٥ ـ ١٩٢٦.
جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

- ح -

حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف بمصر ١٩٥٩.
حضارة العرب، غوستاف لوبون، مطبعة عيسى الحلبي القاهرة ١٩٥٦.
حواء الخالدة، محمود تيمور.

الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٣٨/١٣٥٦.

- خ -

خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغدادي، المطبعة الأميرية ببولاق - الطبعة الأولى.

- د -

ديوان عنترة، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، مخطوط سنة ١١١٢هـ.

- ر -

الرحلة المجازية، محمد لبيب البتانوني، مطبعة الجمالية بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٣٢٩.

- ز -

زهرة الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٥٣/١٣٧٢.

- ش -

شرح المعلقات السبع، للزوزني، دار الجيل، بيروت - لبنان.

شعراء النصرانية، الأب لويس شيخو اليسوعي، طبع بيروت ١٩٠٠.

- ص -

صبح الأعشى: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٨/١٣٣٦.

- ض -

ضحى الإسلام، أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة السادسة ١٩٦١ .

- ط -

طبقات فحول الشعراء؛ محمد بن سلام الجمحي، طبع دار المعارف ١٩٥٢ .

- ظ -

ظهر الإسلام، أحمد أمين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧١/١٩٥٢ .

- ع -

العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه، مطبعة الاستقامة - الطبعة الثانية ١٣٧٢/١٩٥٣ .

- ف -

الفتوة عند العرب، عمر الدسوقي، مطبعة لجنة البيان العربي ١٣٧٠/١٩٥١ .

الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٣٦٢/١٩٤٣ .

في الأدب الجاهلي، طه حسين، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٢ .

فارس بني عبس، حسن عبد الله القرشي، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية .

- ق -

قلب جزيرة العرب، فؤاد حمزة، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٣٣/١٣٥٢.

- ك -

الكامل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦.

الكامل في التاريخ، علي بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، المطبعة الأزهرية - الطبعة الأولى ١٣٠١.

- ل -

لسان العرب، ابن منظور، طبع بولاق ١٣٠١.

- م -

مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مطبعة السعادة - الطبعة الثانية ١٩٥٩/١٣٧٩.

المجاني الحديثة، لجنة من الأساتذة، المطبعة الكاثوليكية بيروت، الطبعة الثالثة.

مختار الشعر الجاهلي، مصطفى السقا، طبع الحلبي ١٣٦٨ - ١٩٤٧.

معجم البلدان: ياقوت الحموي، طبعة داري صادر بيروت ١٣٥٧/١٣٧٦.

منية النفس في أشعار عنترة عبس، إسكندر أغا أبيكاريوس، بيروت ١٨٦٤ .

- ن -

نهاية الأرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ ـ ١٩٥٥ .

- ي -

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، مطبعة الصاوي ـ الطبعة الأولى ١٩٣٤/١٣٥٣ .

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة